السنة الخامسة — العدد ٢٠ — ١٥ت١ سنة ١٩٠٢

المشرق

بُشْرَى

ورد علينا رقيم كريم من نيافة الكردينال رمبلّا وزير الحضرة البابويّة وهذا نصّهُ وتعريبهُ:

Reverendo Padre.

Il «Numero unico» della rivista **Al-Machriq** e del giornale **Al-Bachir**, che Vostra Reverenza pubblicava in omaggio al giubileo pontificio di Sua Santità, è stato rassegnato nelle mani del Santo Padre. L'Augusto Pontefice si è compiaciuto accoglierlo con gradimento, prendendo quella occasione per confermare il suo vivo interesse per le chiese orientali. Mi ha quindi commesso di ringraziare Vostra Reverenza per la cura che mette nel rafforzare i vincoli che stringono l'Oriente cattolico col Vicario di Gesù Cristo, e con effusione di affetto si è degnato impartire una speciale benedizione a Lei e ai redattori delle due pubblicazioni che Ella dirige.

Sono lieto di renderla di ciò consapevole, mentre con sensi di sincera stima passo a dichiararmi

Di Vostra Reverenza

Roma, 30 *Settembre* 1902.

Affmo nel Signore

pr. Card. Rampolla

ايها الاب المحترم

لقد وُضع بين يدي الاب الاقدس العدد الفرد الذي نشرتهُ حضرتكم من مجلة المشرق وجريدة البشير كشارة ولاء وخضوع بمرض يوبيل قداسته الحبري فتنازل قداسته وتقبله بالرضي منتهزًا هذه الفرصة لبيان حبّه الشديد للكنائس الشرقية. ومن ثمَّ عهد اليَّ بان اشكر حضرتكم على ما تفرغونه من الجهد في تعزيز الروابط التي تضمّ الشرق الكاثوليكي الى نائب السيد المسيح. وقد تلطف ايده الله بان يمنح بفيض الحب بركة خصوصية لكم ولمحرري النشرتين اللتين تحت ادارتكم ومع ابلاغي اياكم هذا الامر يسرني ان اوضح لكم صدق اعتباري معلنًا نفسي ايها الاب المحترم

محبكم المخلص في الرب

رومية في ٣٠ ايلول سنة ١٩٠٢ م. كردينال رمبلا

(المشرق) فنحن نسأل الحق سبحانهُ وتعالى ان يؤيد ويؤبد الكرسي الرسولي المقدَّس ويحرس بعين عنايته العلويَّة حبر الاحبار الروماني ويبلّغهُ امانيهُ الخيريَّة كما انَّنا نحسب هذا الرقيم اعظم واكبر منشّط لنا في السبيل الذي نهجناهُ لاجل تعزيز ديانتنا المسيحيَّة واعلاء منار المعارف والآداب

المردة والموارنة

بقلم الحبر الجليل والعلامة النبيل السيّد يوسف الدبس مطران بيروت المارونيّ

الى حضرة الاب الجليل هنري لامنس اليسوعيّ الجزيل الاحترام

أستهلُّ رسالتي اليك بالشكر والثناء عليك لما تجهد نفسك بتدونه بمجلَّة المشرق الغرَّاء من الفصول الموعبة بالفائدة وخير العائدة على الدين والعلم والفضيلة واسألك ان

لا يشقّ عليك ان اورد بعض ادلّة تخالف ما كتبتهُ اخيرًا في هذه المجلّة (ع ١٨: ص ٨٢٦) في شان المردة لاني لم اضع ذلك على سبيل المباراة بل على سبيل البحث العلمي التاريخي وبيان الحقيقة ولم اتفرّغ للتنقيب في كتب المؤرخين لايجاد الادلّة الآتي ذكرها بل انتقيتُها من معلوماتي السابقة وممّا كتبتهُ الى الآن في تاريخ سوريّة وغيره

قالت ابوتك الجليلة في مسألة المردة وظهورهم بغتةً بلبنان وخروجهم منهُ ذهب العلماء فيها الى مذاهب شتّى وأنك لا تبدي فيها رأيًا بل تترك لقرّائك ان يصوّبوا الرأي الذي يرونهُ اصحّ واثبت وظهر من اساليب كلامك ومجموعهِ انك تجنح الى الرأي المخالف لراي الموارنة بهذه المسألة ويقرأ القارئ في خلال اسطرك انك ترجّح راي المخالفين ولا الومك على ذلك ولا يخطر في بالي انك تعمّدت إجحافًا بحق الموارنة او إنقاصًا بكرامتهم اذ طالما رأيتك تذبُّ عنهم وتنتصر لهم بل اعتقد ان لك مناظر عليةً اشكلتْ عليك حلّ هذه المسألة فصنعت ما يصنعهُ العلماء الحاذقون نظيرك من ايراد المسألة بطريق الشكّ تملُّصًا من مسؤوليّة انكارها بتًّا وافرغت كل ما قام بذهنك مما يضادُّها حتى اذا وُجد من حلّ لك ما رأيت من المصاعب في القطع بها ثابتةً على ما رايتهُ صوابًا دون ان تتعرّض للانتقاد وهذا خاصّة ما سوّل لي ان اورد لك الادلّة الآتية رجاء ان تحلّ محلًا مقبولًا في ذهن خالٍ عن كل غرض الّا الحقّ وكشف الحقائق فتربح عالمًا ضليعًا شهيرًا لحماية هذه الحقيقة التي حاماها كثيرون من علمائنا وان لم تكن لها اهميّة كمسئلة ثبوت الموارنة الدائم على الايمان الكاثوليكي

فاقول: أننا نحن الموارنة نعلم ان المردة اسم للموارنة لقّبهم به اعداؤهم في القرن السابع وان المردة والموارنة أمة واحدة ولنا على ذلك الادلّة التابعة نبتدئ بما كان فيها عامًا

الدليل الاوّل: أننا نعلم ان من عادات المؤلفين الحميدة ان يعتمدوا في تاريخ كل قبيلة على ما دوّنهُ علماؤها ومورّخوها وعلى ما يظهر لهم من تقليداتها العامة والثابتة مفضلين ذلك على كل ما سواه من اخبار المؤرخين الاجانب عنها. ونتعجّب كل العجب من ان الموارنة يستثنيهم بعض الكتبة والمؤلفين من هذا الحكم العامّ ولا يلتفتون الى ما دوّنهُ كثيرون من علمائهم الجهابذة او اجمعوا عليه ايضًا كما في مبحثنا الحالي فان جميع

علماؤنا وكتّابنا الذين ذكروا هذا المبحث اثبتوا ان المردة لقب للموارنة ومنهم جهابذة متسامون بالعلم كالدويهي ويوسف اسطفان ومسعد ومنهم جهابذة يقرّ لهم بالفضل والعلم اهل المشرق والمغرب ويستنيرون بنبراس مؤلفاتهم في كل معضلة كالسماعنة والحاقلي والباني ومبارك اليسوعي وغيرهم ولكن اذا اتى هؤلاء العلماء بشيء يخص ملّتهم ازدروا شهادتهم (١ وشكّوا في صحّتها ولو كانوا مجمعين عليها ولم يرعوا تقليداتنا العامة والثابتة الراسخة من اقدم الأيام الى الآن في عقل كلّ ماروني بل دُوّنت في مجامعهم كالمجمع اللبناني الذي صرّح بان اصحاب الغزوات المبحوث عنهم انما هم قدماء الموارنة . أتستحسن ابوتك هذا التصرف مع الموارنة وقد ذكرت ان ائمة الموارنة ومنهم العلامة السمعاني والحاقلاني ومرهج الباني والدويهي ومن تبعهم من علماء الموارنة وبعض الكتبة الاوربيين كبارونيوس (امام المؤرخين) ولاكوبان وغيرهما ارتأوا ان المردة هم الموارنة ؟ أفلا ترى ان شهادة هؤلاء الأئمة تفضل على شهادات بعض الحاسدين للموارنة او البعيدين عنهم وليس بينهم من يستحق ان يُعدّ بين المشاهير او يُقاس بمن ذكرت من الأئمة ؟ أترك الحكم بذلك لما اعهدهُ بك من الانصاف

الدليل الثاني: قالت ابوتك في المردة: «من غريب امر هذا الشعب انهُ لم يبدُ بادئ ذي بدء ضعيفاً ضئيلاً بل نراه جاثماً فوق مشارف لبنان ضابطاً مضائقهُ شاغلاً كل نقطة الحصينة على مدى طوله من الشمال الى الجنوب وليس من يقوم في وجهه بل كثيراً ما ينقضّ من مراكزه الحريزة فيغزو المعاملات القريبة منهُ دون ان يردّ احد هجماته » الى ان قلتَ: « فاندثر امرهم على الفور كما ظهروا بغتةً دون ان يبقوا في لبنان اثراً من مرورهم ».لعمر الحقّ انني موافق لك في غرابة امر هذا الشعب اذا كان ظهر بغتةً بالقوّة والصولة والسطوة التي وصفتهُ بها واندثر على فور لا أرى ذلك غريباً فقط بل مستحيلاً ولا اعلم لهُ مثالاً في التاريخ ولكن ليت شعري أما ترى ان هذه الغرابة تزول وهذه المعضلة تنحلّ وتنجلي اذا قلنا ان هذا الشعب ليس غريباً عن لبنان ولا اتى اليه بغتةً بل هو ساكن لبنان من اقدم الأيام اي الموارنة وكانوا منبسطين

---

١) لا نظنّ ان اصحاب الرأي المخالف يزدرون شهادة هؤلاء العلماء لكنّهم يرونها حديثة العهد

هـ. ل

منهُ شمالًا الى ما وراء انطاكية وجنوبًا الى اعمال فلسطين وهذا كان يسهِّل غزواتهم ويُيسر ردَّ هجماتهم ويجعلهم جاثين فوق مشارف لبنان وضابطين مضائقه وشاغلين نقطه الحصينة او ما تفضل ابوتك حلَّ هذه المعضلة بهذا الوجه البسيط والطبيعي والمعقول على الارتباك بدخول شعب غريب لا يُعلم من اين اتى ولا كيف طرد السكّان الاصليين من لبنان ولا كيف استحوذ على مشارفه ولا كيف حاز هذه السطوة وملأ القلوب رعبًا بغزواته المتواصلة في جبل اللكام الى تخوم اورشليم ؟ اني اثق بان نزاهتك عن كل غرض الّا الحق تحملك وتحمل كل منصفٍ ان يصوّب ما قلتهُ وينبذ الخلاف

الدليل الثالث : اذا استقرينا التواريخ الصادقة رأينا ان اسم المردة سمي بهِ في القرن السابع للميلاد بعض المسيحيين الساكنين بلبنان لتمرُّدهم على من كان من ملوك الروم شاذًّا عن الايمان الكاثوليكي مقابلًا لاسم ملكيَّة لمن بقي من المسيحيين المذكورين مسالمًا وطائعًا للملوك المذكورين فكان اسم مردة وملكيَّة متقابلين (١ دالَّين في البدء على غرضين مدنيين كما كان في ما بعد اسما قيسي ويمني. وابتدأ هذا الانقسام في أيام الملك هرقل الذي عاون على نشر بدعة المشيئة الواحدة وتعاظم وبلغ الغاية في أيام يوستنيانوس الثاني الاخرم وابوتك لا تنكر شيئًا من هذا بل دافعت حق الدفاع واحكمهُ عن ان الملكيَّة من سكّان سوريَّة ولم يأتوا اليها من محلٍ آخر فكما ان الفريق الواحد وهو الملكيَّة ليس من قائل بانهُ غريب عن سوريَّة ولبنان او اتى اليهِ من الخارج فكذا يلزم ان يقال في الفريق الآخر اي انهُ من سكّان سوريَّة ولبنان ولم يأتِ اليهما من الخارج لان الفريقين كانا معًا وفي بلاد واحدة ولم يسمَّ كل منهما بما سُمّي بهِ الّا للفرق بينهما

الدليل الرابع : اذا راجعنا اسماء من ذكرتهم لتأييد كلٍّ من الرأيين وجدنا انك ذكرت لتأييد راي الموارنة العلامة السمعاني والحاقلاني ومرهج بن نمرون الباني والدويهي ومن تبعهم من علماء الموارنة ونزيد نحن على هؤلاء المطران اسطفان عوّاد

---

١) هذا امرٌ وددنا لو يؤيَّد بالبرهان. والرأي الراجح عند العلماء انَّ اسم المردة اسم شعبٍ لا اسم شيعة وان اصلهُ لم يشتق من فعل « مَرَدَ » ل.ش

السمعاني والبطريرك يوسف اسطفان والبطريرك بولس مسعد الى غيرهم وذكرت من الاوربيين بارونيوس ولاكويان وغيرهما وتريد نحن على هؤلاء نطاليس اسكندر وروهربخر ودي لارو الى كثيرين غيرهم (١. واما الذين ذكرتهم من المخالفين لرأي الموارنة فهم الاب مرتين وانكتي دي بارون وابن العبري. فالاب مرتين اسقطتَ انت شهادته لانهُ قال ان اصل المردة عرب وانت ترى خلاف ذلك واماً دي بارون فترى انهُ اصابه ما اصاب الرجل الاوروباوي الذي كان يبحث عن مقام القديسة كاترين في الاسكندريَّة فوجد سوق العطّارين وتفاخر بانهُ وجد مقام القديسة كاترين فدي بارون وجد كلمة مردا السريانيَّة او مردة العربيَّة فظن انهُ وجد فرعاً آخر لقبيلة مرد الذين كانوا قبل المسيح كما افدتنا نقلاً عنهُ: أتصدق انت الذي طالما اثبتَّ لنا ذكاءك واصالة رأيك ان دي بارون او غيره امكنهُ ان يحقق انساب مردة قبل المسيح الى القرن السابع بعده حتى يذكر ما قالهُ. او لا تعلم انت وكل خبير ان المردة لقب لهؤلاء الجماعة اكسبهم اياهُ عملهم لا اسم قبيلتهم (٢. واماً ابن العبري فنقلت عن تاريخهُ السرياني « ان المردة جنود للملك قسطنطين اللحياني ارسلهم للمدافعة عنها » فعبارته الاولى اي أن المردة جنود لقسطنطين اللحياني هي صادقة مجازاً لان الموارنة بغزواتهم وحملاتهم صدُّوا العدوَّ عن السطو على ما كان باقياً من مملكة هذا الملك بل اكرهوهم على دفع الحصار عن حاضرة دولتهم سنة ٦٧٦ فكانوا اعظم جنود لهذا الملك ولم يكن المردة يقاومون من ملوك الروم ألاّ من كان شاذّاً عن الايمان الصحيح كقسطنطينس ويوستنيانوس الاخرم واماً قسطنطين اللحياني فكان صحيح الايمان غيوراً عليه فلم يكونوا يقاومونه بل كانوا ينجدونه ويعتمدون على اشارته. واماً عبارة ابن العبري الثانية وهي ارسلهم الى الشام للمدافعة عنها فلم تصل يدي الى الاصل السرياني لأحقق كلمة ارسل منها والذي قرأتهُ في ترجمة لاتينيَّة غير مارونيَّة لهذه الكلمة (constituit) اي اقامهم او جعلهم للمدافعة عن الشام وعلى ذلك لا يكون في العبارة الثانية ايضاً ما

---

١) لم نجد داعياً لذكر كل المؤلفين الذين رأوا هذا الراي ولذلك ضربنا عنهم صفحاً لاسيَّما انَّ بعضهم كروهربخر ناقلون لا باحثون (ه.ل)

٢) هو الامر الذي يذكرهُ اصحاب الرأي المخالف (ه.ل)

يخالف رأي الموارنة بل تكون صادقة بالمعنى الذي قدمناه وان ثبت ان اصل الكلمة السريانيّة مرد (ارسل) فيكون ذلك خطأً من ابن العبري يثبتهُ عليهِ كلُّ ما ستراه في الادلّة السابع والتاسع والعاشر ٠ وخلاصة كلامنا في هذا الدليل ان ابوتك اوردت لتأييد راي الموارنة جهابذة كثيرين مشهورين يقرّ لهم بالفضل والعلم كل خبير واوردت لراي المخالفين لهم شهادة الاب مرتين واسقطتها انت ثم شهادة دي بارون وهي ساقطة من نفسها وشهادة ابن العبري وهي معتلّة كما رأيت وهبْ شهادة هؤلاء الثلاثة صحيحة أتُقاس بشهادة فطاحل العلم الذين ذكرتهم لا من قبيل العدد فقط بل من قبيل القوّة والاعتبار وقبول الشهادة ايضاً أدَعُ الحكم لانصافك هنا ايضاً

الدليل الخامس: لعلَّ ابوتك تقول انا تركتَ توافانوس ممّا ذكرتهم لتأييد الراي المخالف للموارنة مع انهُ عمدة في كلامك. فاجيب اني لم اتركه ولم اغفل عنهُ بل اردت ان أُفرد لهُ فقرة مخصوصة هي هذه قالت ابوتك: "يؤخذ من اقدم ما ورد عن المردة ان لبنان لم يكن مركزهم الاوَّل. قال المؤرخ توافانوس عنهم ان المردة دخلوا لبنان وفي هذا القول ما لا شبهة فيهِ عن مجيئهم الى لبنان من محل آخر". فاجيب اولًا اني نقلت عن توافانن هذا اخبار المردة في كتابي تاريخ سوريَّة (مجلَّد ٥ ص ١٠٥ وما يليها) معتمدًا على تاريخه الذي طبعه الاب مين في مكتبة الآباء اليونان فوجدتهُ يقول في تاريخ السنة التاسعة للملك قسطنطين اللحياني ما ترجمتهُ بحروفهِ عن اللاتينيَّة: «في هذه السنة خرج المردة من لبنان فضبطوا كل ما كان من جبل الاسود الى المدينة المقدَّسة» . واما كيف ترجمت ابوتك دخل المردة عوضًا عن خرج فاظن انك نقلتَ كلامًا آخر لتوافان (١ لانهُ ذكر المردة في تاريخ سنين عديدة او اردت ان تقول ان قدرينوس (الذي عربتهُ انا وغيري شدرانوس) قال ان المردة دخلوا لبنان لاني وجدت مثل هذه اللفظة في كلامه

---

١) انما نقلتُ عن تاوفانوس كلامهُ الاوَّل في ذكر المردة. اماَّ بقيَّة اقوالهِ فيهم فاشرتُ اليها في ذيل مقالتي. وكذلك قدرينوس (او شدرانوس) لم أُعِرْهُ بالًا لانهُ نقل كلام تاوفانوس بحرفهِ (ل.ش)

اجيب ثانيًا انهُ لو ثبت ان توافان او شدرانوس او غيرها قال ان المردة دخلوا لبنان فلا يثبت ان المردة اتوا حديثًا الى لبنان فانت تعلم ولا يفوت خبيرًا بتاريخ المشرق ان الموارنة كانوا منبثين في شمالي لبنان اي في حماة حيث كان مركزهم الديني وفي حمص وانطاكية وباقي السهول التي هناك وفي جنوبيه الى اورشليم (٣ فالقول انَّهم دخلوا لبنان يكون المراد بِهِ أنهم تجمَّعوا من خارج لبنان ودخلوا هذا الجبل الحصين وضبطوا مشارفه وخفروا مضائقه وحصَّنوا قلاعه واخذوا يشنُّون الاغارات الى الشمال والجنوب من لبنان وهذا ما يظهر دون تكلُّف لمن يطالع ما كتبهُ عن المردة توافان وشدرانوس وزوناراس وبولس الشماس وانسطاس المكتبي وغيرهم وقد ذكرت كثيرًا من اقوالهم في المجلد المذكور من كتابي تاريخ سوريَّة فاذًا لو صحَّ ان توافان او غيره قال « دخل المردة لبنان » فلا ينتج من ذلك ما يخالف راي الموارنة ان المردة من أُمَّتهم

الدليل السادس: حجَّتنا ابوتك بقول آخر قالهُ توافان وهو: « وانضمَّ اليهم (اي الى المردة) كثيرون من العبيد والاسرى والوطنيين حتى اصبح عددهم في مدة وجيزة الوفا كثيرة » واوجزت ابوتك هذا الكلام فقلت: « والتجأ اليهم الوطنيون » فشوَّش الايجاز العبارة (١ واردفتها بقولك: « وفي هذا دليل على ان المردة لم يكونوا من اهل لبنان بل غرباء » فصحيح العبارة ما ذكرتهُ عن توافان نفسه في تاريخ السنة التاسعة لقسطنطين اللحياني واذا كان اصل العبارة وصحيحها انضمَّ او التجأ اليهم كثيرون من العبيد والاسرى والوطنيين فاذا يكون فيها ممَّا يخالف راي الموارنة وابوتك صرَّحت مرارًا في فصولك نفسها في آثار لبنان ان الموارنة لم يكونوا يسكنون وحدهم بلبنان بل خالطهم غيرهم من الامم والشعوب فاذا قال توافان « انهُ انضمَّ اليهم في غزواتهم كثيرون من الوطنيين » فما يكون في ذلك من الدليل على ان المردة لم يكونوا من اهل لبنان بل غرباء ؟

الدليل السابع: قالت ابوتك ان المردة بعد ابعادهم عن لبنان وتفرُّقهم على قولك في بلاد الارمن واضالية وقبرس والمودة لم يزالوا في كل هذه البلاد على نظامهم

---

١) لم نجد كاتبًا قديمًا يذكر امتداد الامَّة المارونية الى اورشليم في القرن السابع (هـ.ل)
٢) اكتفيتُ بذكر الالفاظ التي عليها ابتنى ذوو الرأي المخالف حجتهم (هـ.ل)

العسكري وكان لهم ضباط يسمّونهم كاتيبانو فلو كان المردة عسكراً ارسلهُ ملوك الروم الى لبنان لعاد كل من هذا العسكر الى بلاده ووطنه وانضمَّ الى اهله ولم تكن حاجة او محلٌ ان يبقوا على نظامهم العسكري وان يكون لهم ضبّاط يسمّون باسم مخصوص او كان ملك الروم الذي استقدمهم اليهِ ضمّهم الى عسكره وجماهم كباقيه ؟ ولو كانوا جالية من آسيا الصغرى او ارمينية او ايران احلّهم احد ملوك الروم في لبنان ثم استرجعهم لرجعت هذه الجالية الى مواطنها التي تركتها من عهد قريب لانَّ فتح سوريَّة كان سنة ٦٣٦ وذكر هؤلاء المردة ابتدأ على قولك سنة ٦٧٧ وابعادهم عنها كان نحو سنة ٦٩٢ فتكون المدة من احلالهم في لبنان الى اخراجهم نحو خمس عشر سنة فلمَ لم ترجع هذه الجالية الى مواطنها ولمَ اعتُبرت كأنها غريبة ولزمت ان تحفظ نظامها العسكري وان يكون لها حاكم مخصوص ولهُ اسم خاصٌ اينما حلّوا على ما قلت انت في بلاد الارمن او جوار اضالية او قبرس او بلاد اليونان والمورة. اما ترى ان كل ذلك يدل على ان هؤلاء المبعدين لم يكونوا عسكراً للملك الروماني ولا من اهل ارمينية او اسيا الصغرى بل من السكّان الاصليين في لبنان وهم الموارنة

ان العلّامة السمعاني انبأنا في المجلّد الرابع من مكتبة الناموس (فصل ٣٠ ص ٦٢٠) بامور ذات اهميَّة في اخبار هؤلاء المبعدين من الموارنة فقال ان الملك قسطنطين السابع بُرفيروجنات الذي كان في منتصف القرن العاشر قال في كتابه الموسوم بتدبير الملك المطبوع باريس (فصل ٥٠ ص ١٣٧) ان المردة نُقلوا الى بمفيلية وقام قائدهم في مدينة اضالية وذكر في كتابهِ الاوَّل في اعمال المملكة (فصل ١٤) عمل بمفيلية وقال: «فيهِ المردة الذين جلوا من لبنان يليهم قائد لهم وقد استمروا هناك من عهد يوستيانوس الى ايَّامنا» اي ايام المؤلف في نحو نصف القرن العاشر وقد اسهب في الفصل ٥٠ من كتابهِ المذكور الكلام فيهم ومما قاله ان ملك القسطنطينيَّة كان ينصب للمرَدة والياً منهم في اضالية يسمى قبطاناً وان الملك لاون الحكيم اباه نصب لهم والياً اسمهُ استراتيشوس بلاتين وكان ينصب لهم قاضياً يسمى قاضي اضالية. ثم قال السمعاني في سنة ١٠٧٤ كان احد هؤلاء القضاة اسمهُ ميخائيل الف كتاباً في الناموسين الديني والمدني طبع بفرنكفورت سنة ١٥٩٦ وكان في القسطنطينيَّة مرتبة لكبير المردة من ايَّام الملك ميخائيل السابع في القرن الحادي عشر الى ان فُتحت القسطنطينيَّة سنة

١٤٥٣. واستشهد السمعاني لذلك كتاباً لغريغوريوس كودونيوس كوروبالات الذي كان حيّاً عند الفتح المذكور. ومما قاله هذا المؤلف. ان كبير المردة كان يحمل في القسطنطينية عكّازاً من فضّة مموهاً بالذهب. واستشهد السمعاني ايضاً متّى جاتر الكاهن في كتابه في مراتب القصر القسطنطيني حيث روى ان الرتبة السابعة عشرة بعد الملك كانت لكبير المردة. واستشهد ايضاً كتاباً بمجهول المؤلف. هذا خلاصة ما رواه السمعاني في هؤلاء المردة المبعدين او ما ترى ابتِ ان كل ذلك لا يصدق على عسكر كان بلبنان او على جالية احتلتهُ بعض سنين بل ان ذلك بيّنة قاطعة على ان هؤلاء المردة المبعدين كانوا من الموارنة سكان لبنان الاصليين واستمرّوا منفصلين عن باقي سكان اسيا الصغرى قروناً وميّزتهم الحكومة نفسها عنهم ولو كانوا عسكراً او جالية لما كان محل لشيء من ذلك

الدليل الثامن: ان اصحاب الرأي المخالف لراي الموارنة لا يتفقون على اصل المردة وقد انبأتنا ابوتك ان ابن العبري يقول انّهم جنود لقسطنطين الملك ولم يعرفنا من اين كان هؤلاء الجنود وان بعضهم قال انّهم كانوا قبل دخولهم لبنان يسكنون بلاد الارمن وولايات اسيا الصغرى وان دي بارون يجعلهم فرعاً من المرد الذين كانوا قبل المسيح وان بعضهم يقول انّهم اصلاً من قبيلة ايرانية دخل عليهم أخلاط من عناصر سوريّة وارمينية وان الاب مرتين اليسوعي يقول انّهم من العرب. ففي هذا الخلاف الكثير قول من نصدق وبقول من نكذّب؟ او ما ترى ان هذا الخلاف نفسه بيّنة على بطلان هذه الاقوال وان كلاًّ منها ينقض الآخر فضلاً عن نقضنا لها جميعها بما اوردناهُ الى الآن من الادلة القاطعة منها بيّنتين قاطعتين خاصّةً الاولى اشتراط معاوية في معاهدة الصلح بينه وبين الملك قسطنطين اللحياني ان يمنع الملك اغارات المردة وغزواتهم وهو يدفع لقاء ذلك مبلغاً من المال والرجال والخيل. ولو كان هؤلاء المردة جنوداً للملك او جالية ادخلها الى لبنان حديثاً لشرط بلا بدّ جلاء هؤلاء الجنود عن لبنان والامر واضح وضوح بقاء المردة على غزواتهم بعد ذلك ولم يذكر هذه الامور كتبة من الموارنة بل توافان وشدرانوس وزوناراس والثلاثة من مؤرخي الروم المعوّل على كلامهم في تواريخ تلك الايّام ومن اشهر المؤرخين. والبيّنة الثانية بقاء هؤلاء المردة قروناً في اسيا الصغرى بعد ابعادهم اليها منفصلين عن غيرهم من سكّانها ولايةً وقضاء

كما اثبت الملك قسطنطين السابع برفيروجنات انَّهم بقوا كذلك من ايام يوستنيانوس الثاني في آخر القرن السابع الى ايامه في اواسط القرن العاشر. لعمر الحق ان هذه بيِّنة لا تُردّ على ان المردة لم يكونوا جنودًا لاحد ملوك الروم ولا جالية احلُّوها في لبنان ثم اخرجوها منهُ بعد مدَّة وجيزة ومن المعلوم ان اولئك الجنود و تلك الجالية لم يكونوا الَّا من مملكتهم فعند عودهم اليها ينضمُّون الى باقيها ولا يبقون منفصلين قرونًا. وقد بسطنا هذين البرهانين آنفًا ولم نكرر ذكرهما هنا الَّا على سبيل الاستخلاص لردّنا هذا الذي نختمهُ بقولنا اذا كانت هذه ادلَّتنا التي نعتبرها قاطعة (١ ويعتبرها كذلك كل منصف وكان هذا اختلاف الاقوال عند من ينكر علينا ذلك فيحق لنا ان نتشبَّث برأينا هذا الى ان ترد ادلتنا هذه جميعها ويورد علينا ادلة أخرى قاطعة تثبت زعم خصومنا وعلى الاقل الى ان يتفقوا براي واحد على اصل هؤلاء المردة

فهذا ما رأيت ان اوردهُ لابوتك الجليلة سائلًا أيَّاك ان تحلّهُ في صفحات مجلة المشرق الغرَّاء علَّه يكون من الابحاث العلميَّة التي تتفضل هذه المجلة بنشرها علاوةً على فضلها بنشر ما يعود بالنفع على الدين والفضيلة وأختم رسالتي هذه بالشكر لك ولاصحابك الآباء المحترمين التعبين بنشر هذه المجلة التي اجلُّها واجلهم وادعو بالتوفيق لكم جميعًا .

اللغة العربيَّة في مدرستنا الكليَّة

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعي

كنَّا في سنتنا الاولى دوَّنَّا في المشرق (ص ٦٦٩) خطابًا عن درس العربيَّة القيِّناهُ في حفلة توزيع الجوائز السنويَّة في كليَّتنا فبيَّنَّا ما لهذا الامر من الشأن الخطير والمقام الاثير وكيف نالت في ايَّامنا لغة العرب تقدُّمًا عظيمًا بهمَّة المستشرقين وما نشروهُ من تآليف المشاهير حتى صارت المطبوعات العربيَّة تُعدُّ بالألوف بعد ان كانت محصورةً في مئاتٍ قليلة من المصنَّفات لا يُحصل عليها الَّا بالعناء والنفقات الطائلة

وممَّا اثبتنا انَّ لبلادنا السوريَّة عمومًا ولبيروت خصوصًا نصيبًا حسنًا في هذه النهضة

١) وعندنا انها لا تفوق حدَّ الرُّجحان ه. ل

الجديدة ومن أجال البصر في انحاء بلادنا يرى انَّ الدروس العربيَّة زاهيةٌ نامية في كل المدارس على اختلاف نزعاتها سواء كانت ابتدائيَّة او ثانويَّة سواء تولَّى ادارتها الوطنيُّون او غيرهم. وقد تخرَّج في هذه معاهد العلوم عدد غفير من الاحداث نشأوا على حبّ العربيَّة وآدابها تفرَّغ منهم قسمٌ صالح للكتابة فبرَّزوا فيهـا. ولا حاجة هنا لذكرهم واسماؤهم شائعة على راس الملا. ولعلَّهُ لا يوجد مدرسةٌ واحدة الَّا تخرَّج فيها بعض هؤلاء الكتبة يشير اليهم رؤساؤها بالبنان فيفتخرون بهم ويثنون عليهم ويعرضونهم على الطلبة كقدوةٍ ليتأسَّوا بهم ويقتفوا معالمهم.

وليست كليَّتنا في بيروت شاذَّةً عن هذا القياس فانَّ للعربيَّة فيها مكانًا اثيرًا رعتهُ منذ أنشئت ولم تزل ترعاهُ حتى يومنا هذا. ولو اردنا اثبـات ذلك بالادلَّة القاطعة لما تعسَّر علينـا الامر. وعليه فقد اخذنا العجب لما دسَّهُ احد مكاتبي المقتطف في عدده الثامن الصادر في اغسطس (آب) من السنة الجارية في مطاوي مقالة عنوانها «المرأة الشرقيَّة» آخر الصفحة ٨٠٣ واول الصفحة ٨٠٤ حيث كتب الدكتور سعيد ابو جمرة بعد طعنهِ في الكلية الاميركانيَّة ما حرفهُ: «والى الآن لم ار مؤلَّفًا عربيًّا خطَّهُ يد احد المتخرجين من (كذا) الكليَّة اليسوعيَّة في بيروت لأنَّها لم تعتني (كذا) الاعتناء اللازم باللغة العربيَّة منذ تأسيسها» وفي هذا القول كما ترى شكايتان احداهما عدم وجود تأليف بقلم احد المتخرّجين في كليَّتنا. والثانية قلَّة اعتناء اصحاب المدرسة المذكورة باللغة العربيَّة. ولا نردُّ هنا على الشكاية الاخيرة لأنَّنا دحضناها دحضًا تامًّا في خطابنا المعنون «درس العربيَّة» الذي ألمعنا اليه (المشرق ١: ٧٠٢ — ٧٠٥) فبقي علينا فحص الدعوى الاولى اعني قول جناب الكاتب انهُ «لم يرَ مؤلَّفًا عربيًّا خطَّتهُ يد احد المتخرّجين في كليَّتنا»

وقبل تخطئة قول حضرة المناظر نوجّه الى مقامهِ بعض الاسئلة ليجيب عنها ان امكنهُ اوَّلًا هل عدم وجود تأليف للمتخرّجين في كليَّتنـا هو دليل كافٍ على قلَّة اعتناء المدرسة باللغة العربيَّة؟ فكيف يثبت جنابهُ هذه النتيجة أليست هي اوسع من المقدَّمات بخلاف ما يعلّمهُ المنطقيون؟ ثانيًا وهبْ انهُ لم يرَ كتابًا من وضع المتخرّجين في مدرستنا الكليَّة أفهذا برهان على انهُ لم يضع احد منهم تأليفًا؟ او هل يحيط علمـهُ بكل المطبوعات؟ وما ادراهُ ان كان بعض هذه التآليف ليست حتى الآن منشورةً بالطبع او نفد طبعها؟ ثالثًا او يعرف جنابهُ كلَّ المتخرّجين في كليَّتنا ولعلَّهُ قرأ كتبًا عديدة

خطَّتها ايديهم وهو لا يعلم أنَّهم من تلامذتنا لان مؤلفي الكتب لا يصرّحون عادةً في مقدَّمة كتبهم باسم المدرسة التي رضعوا فيها افاويق العلوم. لاسيَّما انَّ جناب المعترض مقيم بعيدًا عن الاوطان في مدينة سان باولو في البرازيل فكيف يميّز هنالك تلامذة اليسوعيين من غيرهم. هذه اسئلة نطلب الى جناب الدكتور سعيد ابي جمره ان يجيبنا عنها وكان يمكننا ان نكتفي بها لردّ دعواه

على أنَّنا لا نحبّ ان يبقى الدكتور في سوء ظنّهِ فجمعنا هنا اسماء بعض طلبتنا الذين صنَّفوا التصانيف الادبيَّة واحرزوا لهم ذكرًا في الكتابة. ولمَّا كانت مدرسة بيروت خلفت مدرسة غزير وقامت مقامها سنة ١٨٧٥ ضمَّنَّا نبذتنا هذه اسماء الذين تخرَّجوا في المدرستين معًا وقد اتَّبعنا في سرد هذه الاسماء حروف المعجم مستميحين عذرًا ممَّن فاتنا ذكرهم شاكرين سلفًا من يزيدنا افادة ويصلح ما لعلَّهُ يكون فرط منَّا سهوًا

١ ابو سليمان (المعلم يوسف) ألَّف رواية ودمعة الايمان في ضواحي لبنان ورواية عبد الحليم ملك صيدون وعرَّب كتاب الكوكب الشارق في مريم سلطانة المشارق وبعض روايات في المشرق = ٢ ابو كرم (الخوري نعمة الله) عرَّب كتاب جَنْس ذخيرة الالباب في بيان الكتاب وألَّف كتاب قسطاس الاحكام وحرَّر مدَّة جريدة البشير = ٣ ابو ناضر (شاكر افندي) حرَّر روضة المعارف وكتب بعض مقالات فقهيَّة وعرَّب رواية ليلة الاهوال في المشرق = ٤ ابيض (الخوري افرام السرياني) وضع كتاب دليل الفردوس في الوعظ = ٥ ابيلا (الاب شربل اليسوعي) لهُ روايات في المشرق = ٦ اده (الاب جبرائيل اليسوعيّ) ألَّف كتاب القواعد الجليَّة في علم العربيَّة (في جزءين) ثمَّ قسمًا من علم الادب في فنّ الخطابة ولهُ روايات تمثيليَّة وشذرات = ٧ اده (الاب خليل اليسوعيّ) لهُ مقالات في المشرق منها مقالتهُ عن الايقاع في الشعر العربيّ = ٨ اده (الدكتور نجيب) احد كتبة طبيب العائلة = ٩ ارسلان (الامير امين مجيد قنصل الدولة العليَّة في بروكسل) ألَّف كتاب حقوق الامم ولهُ خُطَب ومقالات ادبيَّة رائعة = ١٠ اصفر (سليم افندي) ظهرت مقالاتهُ المستحسنة في الزراعة في المشرق والبشير = ١١ اصفر (الدكتور نجيب) لهُ في المشرق مقالات طبيَّة = ١٢ انستاس (الاب الكرملي) نشر في المشرق مقالات عديدة كلُّها محاسن نخصّ منها بالذكر مقالاتهِ عن الصُّلَيب

واليزيديَّة والمندائيَّة او الصابئة والنوَر وآثار العراق ومقالاته اللغويَّة

١٣ باحوط (منصور) ألَّف كتاب فرائد الفوائد في العلوم الطبيَّة والطبيعيَّة وكتاباً في علم الحساب وردّاً على الدكتور مشاقة = ١٤ باز (الدكتور جرجس) كتب عدَّة مقالات طبيَّة وعرَّب كتاب الروضة البديعة في علم الطبيعة = ١٥ باز (سليم افندي) عرَّب قانون المحاكمات الحقوقية وشرحها شرحاً مستوفياً وشرح المجلّة وعرَّب عن التركيَّة كتاب مناجاة البلغاء في مسامرة البيغاء ولهُ مقالة عن الثقة الماليَّة في لبنان = ١٦ برزي (السيد اغناطيوس قلاده مطران ثية) ادرج في الاسد المرقصي بعض المقالات الجدليَّة وعرَّب غيرها وألَّف كتاب الحقّ الجليل في الردّ على السريانيّ الدخيل = ١٧ بركات (الدكتور فيليب) نشر في الاحوال والبشير والمشرق مقالات عديدة طبيَّة وغيرها = ١٨ البستاني (الخوري يوسف ضاهر) حرَّر البشير زمناً طويلاً وعرَّب كتباً جمَّة كالتحفة الدريَّة في مناقب مار لويس السنيَّة ورواية الحديث المأنوس وغرائب الوقائع ورواية عطاء الله ·ونقل ايضاً الى العربيَّة كتاب التعليم المسيحيّ الرومانيّ وتاريخ الكنيسة وألَّف مقالات ادبيَّة وفلسفيَّة .

١٩ جدي (المرحوم سليم) لهُ روايات نثريَّة وشعريَّة مُثِّلت مراراً وديوان شعر طُبع منهُ شذرات = ٢٠ الجريجيري (غبطة البطريرك المأسوف عليهِ بطرس الرابع) الف شرحاً على التعليم المسيحيّ = ٢١ جعجع (الخوري اغناطيوس) ألَّف كتاب رياضة الكاهن وعرَّب مختصر تأمُّلات الاب لويس الجسري ولهُ كتب تحت الطبع = ٢٢ جلاَّد (فيليب افندي) لهُ قاموس فقهي لدواوين مصر

٢٣ حانك (الخوري حنَّا) من تآليفهِ تذليل الصعاب في علم الحساب وتعريب كتاب تنشئة الصغير وكتاب الخوري كنيب المعنون علاجي بالماء البارد = ٢٤ حبيش (الشيخ يوسف بك) ألَّف قاموساً فرنساوياً وعربياً ضخماً = ٢٥ حبيقه (القس بطرس) نعرف لهُ نبذة في فن التلوين المعروف بتصوير اليد وتأبين البطريرك يوحنَّا الحاج والمطران بطرس البستاني ولهُ تعريبات = ٢٦ حبيقه (نجيب افندي) لهُ مقالات وخطب في المصباح والمجلة والمشرق وعرَّب عدَّة روايات كخريدة لبنان والشقيقتين والف رواية الفارس الاسود ودرجات الانشاء في ستَّة اجزاء ثلاثة للمعلّم وثلاثة للتلميذ = ٢٧ حرفوش (الخوري ابراهيم المرسل الكريمي) لهُ مقالات تاريخيَّة في

المشرق = ٢٨ حرفوش (المعلم يوسف) من تآليفهِ دليل المتكلم والترجمان العربي وتمرين الاوربيين على القراءة العربية وكتاب الترجمة من العربيَّة الى الافرنسيَّة والمراسلات التجاريَّة (تحت الطبع)

٢٩ الخازن (الشيخ فريد) معرّب رواية «مثل ما يحدث هناك» ومحرّر جريدة الارز = ٣٠ الخازن (الشيخ فيليب) منشئ جريدة الأرز ولهُ قصائد وخطب ومقالات = ٣١ الخازن (المنسنيور يوسف شرف) وضع كتاب مصباح الهدى في الدعوتين وكتاب ترس العاجز الظلوم = ٣٢ الخوري (امين افندي) منشئ العثماني ومصنف كتاب رياض الالباب في رياض الحساب وانشاء المكاتيب وجامعة الاداب ودليل بيروت او الجامعة وفردوس السرور في انشراح الصدور وجلاء الغامض في شرح ديوان الفارض الى غير ذلك

٣٣ الدحداح (الشيخ سليم خطّار) الف كتاب حياة بطل الدين والتمدُّن وهو تاريخ القائد دي لاموريسيار وترجمة حياة الكنت رشيد الدحداح واسرتهِ (في المشرق) وعرّب مقالة تيارس في المقابلة بين نابليون واعظم مشاهير الرجال ومقالات غيرها = ٣٤ درعوني (الدكتور حبيب) لهُ مقالات طبيَّة في المشرق = ٣٥ دريان (السيد يوسف رئيس اساقفة طرسوس والنائب البطريركي المارونيّ) من قلمهِ نبذة تاريخيَّة في اصل البطريركيَّة الانطاكيَّة مع تعريب كتاب الدعوة الرهبانيَّة للقديس الفنس دي ليكوري = ٣٦ ديب (الخوري يوسف) لهُ كتاب في الكهنوت

٣٧ ربّاط (الاب انطون اليسوعيّ) لهُ روايات تمثيليَّة ومقالات في المشرق = ٣٨ رتزفال (الاب سبستيان) اثنى العلماء على نبذتهِ في اخبار زينب (الزبّاء) ملكة تدمر ولهُ مقالات عن العاديَّات الشرقيَّة والكتابات التدمريَّة في المشرق = ٣٩ رتزفال (الاب لويس) نشر مقالة الدكتور مشاقة في الموسيقى وعلّق عليها الحواشي العلميَّة وصنَّف عدَّة مقالات فلسفيَّة في النفس وقواها في المشرق

٤٠ الزغبي (الخوري بطرس النائب الاسقفي لابرشيَّة قبرس) جمع مع الخوري يوسف البستاني كتاب نُخب المُلح وغُرَر المُنح وألَّف كتاب الفاس القاطعة للاصول الباطلة ولهُ غير ذلك = ٤١ الزغبي (الخوري بولس) لهُ مقالات نُشر بعضها في الدائرة

العلميّة الوطنيّة وعرّب مع القس بطرس التولاوي كتاب عنوان البيان وبستان الاذهان = ٤٢ زوين (المرحوم جرجس) من تصانيفهِ الردّ القويم على هذر مشاقة اللئيم — وقد حرّر البشير مدّة وعرّب نيّفاً وعشرة كتب منها الكوكب الوضّاح في تاريخ الاصلاح وكشف التلاعب والتحريف وكشف المغالطات السفسطيّة وكنيسة الروم الشرقيّة واخبار العهد الجديد ورواشق الافكار وروايتي وردة المغرب وفريدة المغرب وامثال الاب جيرودو وشهر قلب يسوع وغير ذلك

٤٣ سبع الليل (الخوري اثناسيوس) ألّف متفرّقات في المذهب البروتستاني في جزءين ونبذة تاريخيّة في البروتستانيّة = ٤٤ سركيس (يوسف اليان افندي) من تآليفهِ كتاب الادلّة القاطعة على شرف الرهبانيّة اليسوعيّة وبيان كنه الشيعة الماسونيّة وكتاب الباباوات وطغمة يسوع وقد عرّب روايتي عاص وشجعان والمركبة الهوائيّة = ٤٥ سعاده (الخوري بولس) نقل الى العربيّة كتاب الهذيذ الثاقب في الاربع العواقب = ٤٦ سمعان (الخوري اسحاق المقدسيّ) نشر كتاب رئاسة بطرس وخلفائهِ = ٤٧ سأن (جرجس افندي) هو منشئ الشمس في دمشق

٤٨ شارّ (عبد الله رزق الله افندي خير زاده) لهُ نُبَذ حسنة في التجارة والزلازل ومؤتمر السلم ظهرت في المشرق وطُبعت على حدة = ٤٩ الشمالي (الخوري بشاره) صنّف مؤخّراً الدرر الغوالي من حياة المطران جرمانوس الشمالي = ٥٠ شهاب (الامير يوسف ملحم) لهُ في اعمال الدائرة العلميّة خطاب في ائتلاف الحرّية والدين = ٥١ شيخو (الاب لويس اليسوعي) من تآليفهِ ترجمة القديس يوحنّا الدمشقي وترجمة رجل الخير بشاره الخوري والتعبّد لقلب يسوع الاقدس والتعبّد لطفوليّة السيد المسيح ونبذة في ترجمة وتآليف ابن العبري وترقية القارئ (في جزءين) ومعرض الخطوط مع ملحقهِ ومختصر في الصرف ونزهة الطرف في مختصر الصرف وغراماتيق لاتيني عربيّ مع منتخبات ومعجم لمدارس اوربّة الكليّة وعلم الادب (في جزءين) ومرقاة المجاني (في جزءين) ومجاني الادب (في ستّة اجزاء) وشرح مجاني الادب (في ثلاثة اجزا) مع فهرس مطوّل ورياض الادب في مراثي شواعر العرب وكتاب شعراء النصرانيّة وممّا نشر من التآليف القديمة كتاب الالفاظ الكتابيّة وديوان ابي العتاهية وديوان الخنساء المطوّل والمختصر وتهذيب الالفاظ لابن السكيت مع مختصرهِ وديوان الخرنق اخت

طرفة وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى مع تعليقات وحواشٍ هذا الى مقالات عديدة وتعريباتٍ في المشرق وغيره

٥٢ صادر (سليم افندي) ألَّف كتاب ترويض الالباب في علم الحساب واختصرهُ وكتاب ترويض الاذهان في تقويم البلدان واختصرهُ ونزهة الافكار في القصص والاخبار وكتاب القلادة الذهبيَّة في المنتخبات التهذيبيَّة وجلاء الغامض في تفسير ديوان الفارض وشرح المتنبي وكتاب الترجمان الفرنسوي باللفظ العربي = ٥٣ صادر (يوسف افندي) مَعاً ألَّف تعليم القراءة العربيَّة لابناء المدارس الكاثوليكيَّة وكتاب تعليم قراءة الخطوط العربيَّة وكتاب اصول الطبخ وكتاب زبدة الصنائع والفنون = ٥٤ صالحاني (الاب انطون اليسوعي) نشر كتاب الف ليلة وليلة منقَّحاً (في خمسة اجزاء) وكتاب طرائف وفكاهات في اربع حكايات وديوان الاخطل ورنَّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني (في جزءين) وكتاب تاريخ مختصر الدول لابن العبري وتوفيق السنين الهجريَّة مع السنين المسيحيَّة ومقالة مطوَّلة في الفطير والخمير ورداً على منشور البطريرك القسطنطيني في ما يتعلق بعقيدة الحبل بلا دنس. ولهُ غير ذلك في جريدة البشير التي ادارها عدَّة سنين = ٥٥ صدفاوي (السيد مكسيموس اسقف هرموبوليس القبطي) وضع مقالات في دحض البروتستانيَّة في الاسد المرقصي = ٥٦ صفير (الخوري نقولا) عرَّب كتاب اخويَّة الميتة الصالحة = ٥٧ صقر (الاب يوسف تاتي الماروني مسجّل الديوان البطريركي) لهُ مقالات شتَّى في المشرق عن العوائد اللبنانيَّة = ٥٨ صليب (بطرس افندي بشاي) صنَّف كتاب التحفة الزكيَّة للملَّة القبطيَّة

٥٩ ضاهر (يوسف افندي) لهُ كتابات حسنة في المشرق والبشير

٦٠ طراد (نجيب افندي) منشئ المحبَّة ومعرّب رواية لشلّر = ٦١ طرَّازي (الكنت فيليب دي) ألَّف كتاب القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة وتاريخ الخديويَّة المصريَّة وتاريخ الطائفة السريانيَّة (وكلاهما في مجلَّدين تحت الطبع) وتاريخ شركة مار منصور ولهُ مقالات وخطب وقصائد شتَّى = ٦٢ طنُّوس (الخوري حنَّا) انشأ عدَّة روايات تشخيصيَّة ومقالات وقصائد

٦٣ عبُّود (اسكندر افندي) ألَّف كتاب الآثار العدليَّة = ٦٤ عزار (الخوري اغوسطين) لهُ كتاب خلاصة المعرفة في اخصّ قضايا الفلسفة وقصائد وطُرَف شعريَّة

نُشر قسمٌ منهـا بالطبع = ٦٥ عاوان (الاب يوسف اللعازري) نشر المشرق بعض المقالات من قلمه = ٦٦ عثرن (اسكندر بك) عرَّب الرحلة العاميَّة الى الكرَة الارضيَّة لجول ڤرن = ٦٧ عويس (الخوري بولس) كتب حياة القديس روكس طبيب المطعونين وحياة القديس انطونيوس البدواني (في جزءين) وكتاب الشهر المريميّ

٦٨ غانم (ابراهيم افندي) وضع تاريخ والده ابي سمراء غانم احد ابطال لبنان وادرج في الارز والبشير قطعاً ادبيَّـة وسياسيَّة مستجادة = ٦٩ غانم (الاب سليمان اليسوعيّ) احد مديري البشير صنَّف كتاباً في الشيعة الماسونيـة وردَّ على المذهب الدروينيّ في الارتقاء وجمع اقاويل الآباء في الرئاسة البطرسيَّة

٧٠ فرج (الخوري جرجس صفير النائب البطريركي في الاسكندريَّة) من تآليفه كتاب الكنيسة الجامعة وكتاب الفلسفة (طُبع منهُ جزءان) وكتاب في اصل الانسان والكائنات ومحاورة في الاعتراف بين كاثوليكيّ وبروتستانتي وكشف الستار عن حرّيَّة الاختيار وعرَّب كتاب التعليم في الكنيسة والطقوس = ٧١ فيَّاض (الدكتور نيقولا) لهُ خُطب ومقالات ادبيَّة وطبيَّة في المحبَّة والنار

٧٢ قزح (كمال افنـدي) نقل عن التركيَّة كتاب تلخيص الحقوق الموضوعة لسعادتلو كاظم بك افندي مع زيادات ذات شأن وترجم قسماً من النظامات ولهُ كتاب تركي وعربي وتاريخ الحقوق والتجارة والصناعة وسيظهر هذا قريباً = ٧٣ قندلفت (السيد باسيل اسقف يافا شرفاً) وضع كتاب نبراس الكاهن = ٧٤ قيقانو (يوسف افندي) محرّر لسان الحال ومعرّب رواياته

٧٥ كك (رافائيل افندي) مدير جريدة المحبة واحد كتبتها = ٧٦ كنعان (الياس افندي) محرّر السيَّار = ٧٧ كيرلُّس (الخوري جبرائيـل) ادرج بعض مقالات في المشرق وعرَّب بعض التآليف

٧٨ لامنس (الاب هنري اليسوعيّ) لهُ تمارين في الترجمة من الفرنسيَّة الى العربيَّة (في اربعة اجزاء) وكتاب فرائد اللغة وكتاب الالفاظ الفرنسويَّة المشتقَّة من العربية والرحلة السوريَّة الى اميركة الوسطى والجنوبية وروايات عديدة ظهرت في المشرق كرواية الشقيقتين وخريدة لبنان ورواية حبيس بحيرة قدّس ومقـالات مهمَّة اخصُّها تسريح الابصار في ما يحتويـه لبنان من الآثار

٧٩ مرتا (دون خليل المرسَل الرسولي) ألَّف كتاب الخلاصة الجليَّة في قواعد اللغة العربيَّة (جزءان) ومقالات لغويَّة وتاريخيَّة في المشرق = ٨٠ مسابكي (المرحوم ميخائيل) اشتغل مدَّةً في التعريب في مطبعتنا فنقل كتاب التاريخ المقدَّس للومند وشرح التعليم المسيحيّ لبلّرمين ومائة حكاية وغير ذلك = ٨١ مسك (فيليب افندي) لهُ لمحة في ترشيح الماء وتآليف في الحساب ومقالات فقهيَّة = ٨٢ مصري (حلمي افندي) لهُ رواية طُبعت حديثًا «لحظة عين» ومقالات نثريَّة وشعريَّة في المشرق = ٨٣ معلوف (الاب لويس اليسوعيّ) ادرج في المشرق مقالات فلسفيَّة وادبيَّة = ٨٤ مقار (غبطة السيد كيرلُّس بطريرك الاسكندريَّة على الاقباط) انشأ تاريخ الكنيسة الاسكندريَّة وكتاب دليل المصريين ومقالات جدليَّة في الاسد المرقصي

٨٥ نجّار (ابراهيم افندي) احد محرريّ الصباح وجريدة الوطن المصريَّة وجريدة الكلمة الحرَّة = ٨٦ نقّاش (الدكتور انطون) لهُ مقالات طبيَّة وادبيَّة نشر منها قسمًا = ٨٧ نقّاش (القانونيّ جان افندي) كتب مدَّة في الصباح ووضع كتاب مغني المتداعين عن المحامين = ٨٨ نقّاش (المرحوم يوسف) حرَّر الصباح مدَّةً وكتب بعض روايات ادبية كنفادة البقاع ولهُ قصائد

٨٩ الهاني (الخوري يوسف الهمش) ألَّف المقامة الغزيريَّة وكتاب منارة الطلاَّب في التصريف والاعراب

٩٠ يزبك (المنسنيور يوسف) احد كتبة جريدة الصخرة في اميركة

هذا ما تيسَّر لنا جمعهُ في زمن قريب ولو سمح لنا الوقت لمراجعة جداول تلامذتنا منذ انشاء المدرسة لوجدنا غير الذين ذكرناهم آنفًا. وفي عدد المذكورين كفاية لتزييف قول الدكتور ابي جمرة واقناع القرَّاء انهُ رمى الكلام على عواهنهِ ونسب الى كليَّتنا زورًا ما ليس فيهِ من الحقيقة ذرَّة. وهذا فقط في بيروت وغزير ولو تحرَّينا البحث عمَّن خرجوا من مدارسنا في مصر والاسكندريَّة وجهات الشام لوقفنا على عدد غفير ايضًا من التلامذة الذين تخرَّجوا على يدنا ثم اصابوا شهرةً في الكتابة العربيَّة فضلًا عن الفرنسيَّة والتركيَّة واللاتينيَّة والسريانيَّة

ولنا في إبطال حجَّة خصمنا براهين أُخرى تقنعهُ بأنَّ مدرستنا «تعتني الاعتناء اللازم

باللغة العربيَّة » وما ذلك الَّا عدد المعلمين الذين درَّسوا فيها ممَّن اشتهروا بالتأليف والكتابة كالشيخ الفاضل سعيد افندي الشرتوني وحضرة اخيه محرّر البشير رشيد افندي والشيخ ابراهيم افندي اليازجي والخوري باسيل ايوب والخوري يوسف غاريوس وجناب خليل افندي باخوس وجناب موسى افندي صفير وجناب خليل افندي البدوي وغيرهم . أفليس اختيار رجال مثل هؤلاء دليلًا على اعتبار مدرستنا للّغة العربيَّة . وما قول خصمنا بالمطبوعات العديدة التي نشرها الآباء اليسوعيُّون لتعزيز العربية ونشرها في الخافقين . أهذا فعل الذي يزدري العربية « ولم يعتني (كذا) الاعتناء اللازم باللغة العربية » كما قال حضرة الدكتور

وكذلك يمكننا لتزييف قول المعترض ان نبيّن لهُ بطلان دعواهُ بوجه آخر اعني بذكر ما ينال الكتبة في الشام من المشاكل العديدة كقلّة المكاتب للمطالعة وشدَّة المراقبة وكثرة نفقات الطبع الى غير ذلك ممَّا يقصّ جناح ارباب الكتابة ويفتّ في عضدهم . فكيف يعرّف بعد ذلك مدرستنا بقلّة كتبها ولو راجع رأيهُ لتعجَّب من كثرة التآليف التي اصدرها المتخرّجون فيها واثنى على همّة اصحابها بدلًا من ان ينسب اليهم قلّة الاكتراث لتدريس لغة يعرفون قدرها ويسعون في نشر لوائها واعلاء منارها » . ارشدنا الله وايَّاه الى ما فيه فخر الوطن وخير العباد

إِطلاع الخَضر على أَطلاع النوَر

لحضرة الكاتب المحقّق والعلّامة المدقق الاب انستاس الكرملي (لاحق بسابق)

واعلم ان البعض يجمعون لفظة زطّ التي يقال فيها «جتّ» على الطريقة الفارسيَّة اي بالف ونون في الآخر فيقولون جتَّان . ومن ذلك الكلمة الاسبانيَّة (gitano) بمعنى النوريّ ولا شكّ ان الاسبانيين اخذوا هذه اللفظة عن عرب الاندلس

وامَّا اسماء النوَر في بلاد فارس فتختلف باختلاف البلاد . ففي الشمال يُسمَّون «شاهسَوَن» وهم يذهبون كل سنة اوائل الخريف الى مشاتي لهم وراء نهر الرسّ في

بلاد الروس واذا انقضى الشتاء عادوا الى ربوعهم في بلاد فارس. والكلمة مشتقة من «شاهين» وهو اسم زنجان في القديم من الزمان

واسمهم في قلب بلاد إيران «الفيوج» على الطريقة العربيَّة او «الفانجان» على الطريقة الفارسيَّة والواحد منهم «فيج» والكلمة مأخوذة من «فانجان» وهي قرية باصبهان اغلب سكَّانها اقوام رُحَّل يكثر فيهم الذهاب والاياب

واما في نواحي آذربيجان فيُسمَّون «تات» واليك اصل هذه الكلمة: في جبل «أُسكي» من جبال الايالة المذكورة طائفة من الناس معروفة بهذا الاسم. منهم حَضَر ومنهم رُحَّل. اما الحضر فلا يكاد يخرجون من اوطانهم. اما الرُّحَّل منهم فهم لا يزالون في تطواف وترحال منتشرين في بلاد فارس كلها عصابات عصابات وليس لهم ديانة او آداب او علوم او اخلاق بل هم عبارة عن هَمَج هَمَل وصناعتهم الوحيدة عمل المناخل والغرابيل والاهلون يُخرجون الاولاد على الرقص والغناء والدقّ والخلاعة ويدفعون نساءهم الى ركوب المنكرات طلباً للعيشة. (ومن هؤلاء من يذهبون الى بلاد الترك لهذه الغايات فيُعَدُّون منفصلين عن طائفتهم ويسمونهم حينئذٍ «دَرِلي دُومان») ومنهم من دخلوا في خدمة العشائر الفارسيَّة منذ قرون فتجنَّسوا بجنسيَّتهم الَّا انَّهم باقون في حالة العبوديَّة والرقّ. ولا يستطيعون نزع اسمهم عنهم مهما فعلوا او قالوا

وطائفة منهم تغرَّبوا في بلاد فارس فتعلَّموا فيها اصول التجارة واخذوا يتعاطون البيع والشراء على اتمّ وجهٍ وهم كثيراً ما يخفون اصلهم او ينكرونهُ او يُلبِسون على الناس اعمالهم ويكذبون من يشنّع طائفتهم. ولسانهم خصوصي بهم لا يفهمهُ من لا يكون من جنسهم. وتواريخ بلاد فارس تصرّح بوجود هذا الجيل السافل منذ غزوة التاتار. والكلمة (اي تات) عندي مقطوعة من «تاتار» نفسها وذلك ان التاتار لا يسمُّون نفسهم الَّا «تُركًا» ناكرين على انفسهم تلقيبهم بالتاتار لِما يتعلّق بأهداب هذا الاسم من معاني القسوة والفظاظة والخشونة والهمجيَّة. وعليها فتخلُّصاً من عار هذا الاسم وسَموا به الرُّحَّل الموجودين في البلاد التي افتتحوها في فتوحاتهم الاولى وبقي هذا المعنى معقودًا باللفظة المذكورة الى يومنا هذا. ولا يزال التاتار يتسمَّون «تُركًا» ولا يزال الفُرس يُسمَّون «تاتا» في انحاء كثيرة من البلاد الايرانيَّة

واما اسم النور في بلاد كرمان فهو «القُفْس» او «القُفْص» وقد عرفهم العرب قديماً بهذا الاسم المعروف اليوم في تلك البلاد. قال في التاج في مادة ق ف س: «القُفْسُ» بالضم طائفة بكرمان في جبالها كالاكراد وانشد:

وكم قطعنا من عدوّ شرسِ زُطٍّ واكرادٍ وقُفْسٍ قُفْسِ

ويروى بالصاد ايضاً. (انتهى). وقال في مادة ق ف ص: «القُفْص» بالضم جيل بكرمان. هكذا في النُسخ كلها (من نُسخ القاموس للفيروزابادي) والصواب جيلٌ بكسر الجيم والياء التحتية. ففي العُباب قال ابن دريد: القُفْص بالضمّ جيل معروف يتزلون جبلاً من جبال كرمان يُنسبون اليه يُقال له «جَبَلُ القُفْص». وقال غيره: هو مُعرَّب «كُفج او كُوفج». قلتُ: وفي التهذيب القُفْص جيل من الناس مُتَلَصِّصون في نواحي كرمان اصحاب مراس في الحرب». اه

وقد كنتُ كتبتُ رسالةً الى احد الاصدقاء في كرمان ان يصف لي حالة القُفْس او القُفْص الموجودين اليوم في انحائه فكتب لي كتاباً كلهُ فوائد. ومن غريب الاتفاق ان كلامهُ يوافق كلام ياقوت الحمويّ كل الموافقة. كأنّ ياقوت شهد الامور البارحة ودوَّنها اليوم في كتابهِ. ولهذا فإني أورد كلام ياقوت هُنا ليتحقق الواقف على مقالتي هذه ان العوائد والاخلاق في الشرق لا تعرف الاضمحلال وان ما كتبهُ صاحب معجم البلدان هو عين الحقّ. وهذا نصّ كلامهِ وهو وان كان طويلاً الّا انهُ لا يُثير الملل في التاريخ لِما حوى من فوائد الفوائد. قال: ... «القُفْس جيلٌ بكرمان في جبالها كالاكراد يُقال لهم «القُفْس» و «والبَلُوص»... قال الرُهنيّ: القُفْس جيلٌ من جبال كرمان ممّا يلي البحر وسُكّانهُ من اليمانيّة ثمّ من الأزد بن الغَوث. ثم من وُلد سليمة بن مالك بن فهم وولدهُ لم يكونوا في جزيرة العرب على دين العرب للاعتراف بالمعاد والاقرار بالبعث ولا كانوا مع ذلك على دينهم في عبادة طواغيتهم التي كانوا يعبدونها من الاوثان والاصنام ثم انتقلوا الى عبادة النيران فلم يعبدوها ايضاً عندهم وفي قُدرَتهم. ثم فُتحت كرمان على عهد عثمان بن عفّان رضه فلم يظهر لاحدٍ منهم ذلك من ذلك الزمان الى هذا الزمان ما يُوجب لهم اسم نِحلَةٍ وعقدٍ ولا اسم ذمةٍ وعهد ولم يكن في جبالهم التي هي مأواهم بيت نارٍ ولا فهر يهودٍ ولا بيعة نصارى ولا مصلًّى مسلم الّا ما عساهُ بناهُ في جبالهم الغُزاة لهم. واخبرني مخبر انهُ اخرج من جبالهم الاصنام الكثيرة

ولم التحقتة. قال الرُهنيُّ: واني وجدتُ الرحمة في الانسان وان تفاوت اهلُها فيها فليس احدٌ منهم يغار من شيء. منها فكأنّها خارجة من الحدود التي يُميّز بهـا الانسان من جميع الحيوان كالعقل والنطق اللّذين جُعلا سبباً للامر والزجر ولانّ الرحمـة وان كانت من نتائج قلب ذي رحمة ولذلك في هذه الخلّة التي كأنّهـا في الانسان صفةٌ لازمة كالضحك فلم اجدْ في القفس منها قليلاً ولا كثيراً فلو اخرجناهم بذلك عن حدٍّ من من حدود الانسان لكان جائزاً . . .

« قال: وولد بن مالك بن فهر ثمانية. فراهيد والحُمام والحُناءة ونوىّ والحارث ومعن وسليمة بنو مالك بن فهم بن غنم بن دَوس بن عُدثان ابن عبد الله بن زهران بن كعب ابن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد. قال: والمتمرّد من ولد عمرو بن عامر بوادي سبإ هو جدُّ القفس وذلك ان سليمة بن مالك هو قاتل ابيـه مالك بن فهم وهو الثار من اخوته بولده واهله من ساحل العرب الى ساحل العجم ممّا يلي مُكران والقاطنُ بعدُ في تلك الجبال

« قال الرُهنيُّ: واردنا بذكر هذه الامور التي بيّناها من القفس لندلّ على انّهم لم يكن لهم قطّ في جاهليّة ولا اسلام ديانة يعتمدونها وليعلم النـاس انّهم من هذه الاحوال يعظّمون من بين جميع الناس عليّ بن ابي طالب رضه لا لعقد ديانة ولكن لامر غلب على فطرتهم من تعظيم قدره واستبشارهم عند وصفه

« قال البشّاريّ: . . . والغالب على القفس النحافة والسمرة وتمام الخلقـة يزعمون انهم عرب وهم مفسدون في الارض وبين اقاليم الاعاجم. مفازة وجبال ليس بها نهرٌ يجري ولا رستاق ولا مدينة مشهورة يسكنها الدُعّار صعبـة المسالك وفيها طرقٌ تُسلك من بعض النواحي الى بعض فلذلك قد عُمل فيهـا حياضٌ ومصانع اكثرها من خراسان وبعضها من كرمان وفارس والجبال والسند وسجستان والدُعّار بها كثيرٌ لانهم اذا قطعوا في عمل هربوا الى الآخر وكنوا في كَركس كوه وسياه كوه لا يُقـدَرُ عليهم وليس بها من المدن المعروفة الّا سفند. . . قال وقد خرجنا من طبس نُزيد فارس فكثنا فيها ٧٠ يوماً نعدل من ناحية الى ناحية نقعُ مرّةً في طريق كرمان وتارةً نقرب من اصبهان فرأيتُ من الطرق والمعارج ما لا أُحصيه. وفي هذه الجبال صرودٌ وجرومٌ ونخيل وزروع ورأيتُ أسهلَها واعمرها طريق الريّ واصعبها طريق فارس واقربها طريق كرمان وكلّها

مخيفةٌ من قومٍ يقال لهم القفص يسيرون اليها من جبالٍ لهم بكرمان وهم قومٌ لا خَلاقَ لهم وجوههم وَحشة وقلوبهم قاسية وفيهم بأس وجلادة لا يُبقون على احد ولا يقنعون باخذ المال حتى يقتلوا صاحبهُ وكل من ظفروا به قتلوهُ بالاحجار كما تُقتل الحيّات: يمسكون راس الرجل ويضعونهُ على بلاطةٍ ويضربونهُ بالحجارة حتى ينفدغ. وسألتُهم: لِمَ تفعلون ذلك. فقالوا: حتى لا تُفسد سيوفنا. فلا يفلت منهم احدٌ الّا نادراً. ولهم مكامنُ وجبال يمتنعون بها وقتالهم بالنشّاب ومعهم سيوفٌ

«وكان البلوصُ شرّاً منهم فتتبّعهم عضد الدولة حتى افناهم. وصمد لهؤلاء فقتل منهم كثيراً وشرّدهم ولا يزال ابداً عند المتملك على فارس رهائن منهم كلّما ذهب قومٌ استعاد قوماً. وهم اصبرُ خلق الله على الجوع والعطش واكثر زادهم شيءٌ يتخذونهُ من النَّبِق ويحماونهُ مثل الجوز يتقوّتون به ويدّعون الاسلام وهم اشدّ على المسلمين من الروم والترك. ومن رَسمهم انهم اذا اسروا رجلًا حماوهُ على العَدوِ معهم ٢٠ فرسخاً حافي القدم جائع الكبد وهم مع ذلك رجّالة لا رغبة لهم في الدواب والركوب. وربّما ركبوا الجمَّازات (نوع من الحامل)». اه

وقال ياقوت ايضاً في مادة قُفص ما حرفهُ: «القُفص... لغة في القُفس المذكور قبل هذا قال ابو الطيّب:

[ساقي كؤوس الموتِ والجيرِيالِ]   لمّا أصارَ القُفصَ أمسِ الخالي

وكان عضد الدولة قد غزا اهل القفص ونكى فيهم نكايةً لم ينكها احدٌ فيهم وأفنى اكثرهم». اه

وقد جاء ذكر القفص والبلوص في الكامل لابن الاثير في كلامه عن عصيان اهل كرمان على عضـد الدولة سنة ٣٦٠ (٨: ٢٠٢) وقد ذكرهم غير واحدٍ من المؤرخين وليس في كلامهم زيادة على ما اوردناهُ

واهل جُلفا واصبهان ونواحيهما يُسمُّون النوَر: «كَنچو» واللفظة ارمنيّة ԳնչՈ مأخوذة من «كَنچه» بفتح فسكون. قال ياقوت: «وكَنكجة من نواحي لُرستان بين خوزستان واصبهان» وعليه فالكنچو من اصل لوري. ولهم في تلك الاصقاع اسم ثانٍ وهو پوشا (Pocha) وهي ايضاً ارمنيّة الاصل اي ՊՈՇԱ ومشتقّة من پوشنج او پوشنك او فوشنج والعامّة تقول پوشان فاعتبر الارمن

الالف والنون من علامة الجمع بالفارسيّة كما هو معهود فقالوا في المفرد « پرشا » فيكون على هذا اصل هؤلاء من بلاد فارس . لانّ پوشنك على ما قال صاحب المراصد: « بُليدة بينها وبين هراة عشرة فراسخ في وادٍ كثيرة الشجر والفواكه واكثر خيرات هراة مجلوبة منها ». اه

واماً في غربي بلاد فارس في الاصقاع التي تُتاخم البلاد العثمانيّة فاسم النوَر يتقلّب بين « زُوْزان » (Zozan) وسُوزان (Sozan) وزيْزان (Zézan) وسِيْزان (Sézan) وسُوسان (Soçan) وسَيسان (Sésan) وساسان (Sasan) وكُلُّها تصحيف « الساسانيّة » او بنو ساسان » وهو اسم النوَر عند قدماء العرب على ما اشتهر في كتبهم وتواريخهم بل وهو اسمهم الحقيقي الذي يشمل جميع عشائر النوَر بانواعها وفصائلها وأقسامها وهذا الاسم الذي يجب ان يُسمّيَهم به الكتبة وابناء الادب . ولا حاجة في اثبات ان بني ساسان هم النوَر بعينهم فهذه حقيقة راهنة واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار بل ويسلّم بها كل مكابر معاند للحقّ اذا ما اطّلع على ما نرويه من الشواهد ونصوص الكتبة المتقدّمين .

وبنو ساسان يشملون طوائف أخرى وقد جمعتهم كلهم جوامع واحدة وقد ذكر أشهر هذه الطوائف ابو دُلَف الخزرجيّ في قصيدته الساسانيّة . قال:

ومنّا الكابُلِيُّون ومَن يامب بالجرّ
ومن يمشي على الحَبْل ومن يصعد بالبكر
ومنّا الزنجُ والزُّطُّ سوى الكبّاجة السُمْر
واصحابُ التجافيف من التامولة الصبر

الكابُليون: نسبةً الى كابُل وهي ارض مشهورة بين الهند ونواحي سجستان . والزنج هُنا من كان منهم من زَنجان كما ألمعنا اليه في ما تقدَّم . والزطّ : مرَّ ذكرهم . والكبّاجة : اللُّصوص من كَبَّجَ اذا سَرَقَ . واصحابُ التجافيف : قوم يأوون المساجد عليهم مُرقّعات كالتجافيف بعضها مركبة فوق بعض يقال لهم التامولة . قلتُ: واصلهم من التامولة في الهند (les Tamouls) وعددهم اليوم يبلغ ١٢ مليونًا

وقد اكتفينا بما تقدَّم خوفاً من الإطالة على غير طائل . امّا سبب تسميتهم بني ساسان فقد اختلفت فيه الآراء . قال في التاج : » الساسانيّة » طائفة من الفُرس نُسبوا

الى ملكٍ لهم يُقال لهُ ساسان. وقال الشريشيُّ : هو اوَّل من سنَّ الكُدْية (وفي الاصل المطبوع الكذبة وهو غلط طبع) فنُسبوا اليهِ كما ان الطُفَيليّ منسوب الى طُفَيل اوَّل من تطفَّل ». انتهى

وقال الشيخ محمَّد عبده في شرح مقامات البديع (ص ٨٩):« بنو ساسان الشحَّاذون واهل المسألة. وساسان يقولون انهُ كان رجلاً فقيرًا حاذقًا في الاستعطاء دقيق الحيلة في الاستجداء فنُسب اليه المُكَدُّون. وعندي ان الساسانيَّة وبنو ساسان وما شاكل ذلك من الالفاظ المشيرة بالتحقير لساسان وانهُ جدّ السفلة او شيخهم انما جاءت بعد زوال دولة الساسانيَّة من الفرس التي كان مؤسسها اردشير بابك فلمَّا محتها الاسلام وبقي من اطرافها أفراد أذِلَّاء سقطوا في أَلسنة فتيان المسلمين الاولين فكانوا يطردونهم من مكانٍ الى مكان ويُعيّرونهم بعنوان آبائهم. فبعد ان كانت نسبتهم الى ساسان نسبة مجدٍ وحسب صارت نسبة قذفٍ وسبّ. وكان في اشهار هذا الاسم بالتحقير غاية سياسية فضلًا عمَّا تطمح اليه نفس الغالب من إذلال المغلوب وهي ان لا يبقى للدولة الساسانيَّة ذِكْرٌ في لسان ولا اثر في جنان يُنبئ عن سلطانها او رفعة شأنها واذا خطر امرها بالبال فلا يخطر الّا مع لازمهِ الجديد وهو السفالة والدناءة. ثم نُسيَ ذلك بمرور الأيام وبقي اللفظ مستعملًا في الشحَّاذين وهم أدنى طبقة في الناس. ولقد سمعتُ في بعض البلاد سبًّا تعجَّبتُ لاول سماعهِ ثم انتبهتُ الى سببه وذلك ان رجلًا كان قد رأى على ابنهِ شيئًا يُشير الى رخاوةٍ فيهِ فكان نهاية شتمٍ قالهُ في شدَّة غيظهِ: « يا برمكيّ » فعلمتُ ان اهل الدولة من العباسيّين بعد ان نكبوا البرامكة جعلوا عنوانهم عارًا لمن يتَّصل بهِ وبقي ذلك الى اليوم في السنة بعض البلاد في مصر. هذا وللبرامكة أعوان وانصار حفظوا طيب ذكرهم في بطن الكُتُب الى ما شاء الزمان ان يبقى. امَّا الساسانيَّة فلم يكن لهم بعد تمكُّن الاسلام في فارس وليّ ولا نصير». اه بحرفهِ

قلتُ: ان هذا التأويل وان كان بديعًا في مبناهُ فريدًا في معناهُ الّا انهُ لا ينفي سائر التأويلات التي يتأوَّلها الادباء. فقد جاء في الكامل لابن الاثير (١: ٩٥):« ان ساسان بن بهمن لمَّا رأى فعل ابيه (اي انهُ عقد التاج لدارا وهو في بطن أُمّهِ) لحق بإصطخر وتزهَّد ولحق برؤوس الجبال واتخذ غنمًا وكان يتولاها بنفسهِ فاستبشعت العامة ذلك منهُ » اه. فلعلَّ الذين أحيُّوا الاستعطاء والكدية وهذا النوع من الزهد (ان كان

هذا يُسمّى زهدًا في لغة من اللغات) افتخروا بكونهم قد سبقهم الى مثل هذه العيشة ساسان بن بهمن ولكونهم يتبعون اثرهُ يحقّ لهم ان ينتسبوا اليهِ · ولعلّ بني ساسان الاوّلين الذين اتخذوا الاستجداء مهنةً كانوا اذا ارادوا ان يحثّوا الناس على البذل والنوال ويستعطفوا قلوبهم عليهم بالعطاء يقولون: نحن من اولاد ساسان او من اتباعهِ او من الجارين على سنّتهِ. ثم لمّا كثر التسوّل باسم ساسان ووقر سماعهُ على الآذان اصبح هذا الاسم من اثقل الاسماء على الاسماع وانقلب عنوان عار بعد ان كان عنوان افتخار.

او لعلّ بني ساسان نشأوا في المحلّة التي كانت بمرو وكانت خارجة عنها من دَرْب الفيروزيّة (ياقوت) فلمّا وافق اسمهم اسم الاكاسرة الساسانيّة ادعوا انّهم من اصلهم ومحتدهم. هذا واللفظة تحتمل تآويل اخرى. والله اعلم بالصواب

وخلاصة القول في اصل هذا الجيل انهُ خليط من طوائف وامم شتّى ومن نُفاياتها وحُثالتها وحُشارتها وسُحالتها وان اوّل امة نشأ فيها هؤلاء الطغام هي الامّة الهنديّة على ما تقدّم القول عن الزطّ والكُوْل وذكر هاتين الطائفتين قبل سائر الطوائف. بل وقد انضمّ الى هؤلاء الاقوام السفلة غير ما ذكرنا من الناس كالاندغار والسيابجة مثلًا كما يتّضح ذلك من سياق كلام البلاذري وابن الاثير وغيرهما من المؤرخين ولقد ضربنا صفحًا عن ذكر سائر اسماء النوَر عند العرب ممّا ورد بلفظ عامّ مطلق كالصعاليك وبني غبراء والذؤبان والدُغّار (بالغين المعجمة) والدُعّار (بالعين المهملة) والذُعّار (بالذال المعجمة والعين المهملة) والمداعير الى آخر ما هناك من الالفاظ المترادفة

وقد سبق هاتين الطائفتين طائفة «اللُور» فانّها على ما يُقال قبيلة من الهنود هاجرت اوطانها وجاءت بلاد الفُرس في عهد يزدَجرد الملك فحلّت فيها وانتشرت في البلاد التي عُرفت بعد ذلك باسمهم اي باسم «لُورستان» او «بلاد اللُور» وعليهِ فالنّور معروفون في التاريخ منذ اواخر القرن الرابع للميلاد. فاحفظهُ

واتمامًا للفائدة نذكر اسماء النوَر عند الافرنج حسبما توهموا أصلهم او تصوَّروا منشأهم أو ذهبوا في تعيين البلد الذي اتوا منهُ. وعليهِ فاسمهم عند الفرنسيس بوهيميون (Bohémiens) وعند الانكليز مصريُّون (Gypsies) وعند الأسوجيين والدنيمركيين «تَتار» وعند الالمانيين زيكُونَر او جيكَان (Ziguener ou Ziganes) وعند الايطاليين والترك زِنكَاريُون (Zingari) وعند الروس زيكَاني (Zigani) · امّا هم

فيسمّون انفسهم باسماء مختلفة وتختلف باختلاف البلاد التي يحلونها . فربّما سموا انفسهم « فراعنة » او « سنديين » او « زنكالي » وهذه اللفظة الاخيرة هندية قديمة على ما قيل ومعناها « سود الهند » . والله اعلم (البقيّة للآتي)

مولف كتاب دفع الهم

لحضرة الاب الفاضل القس جرجس منش الحلبي الماروني

لقد خاض فريق من كتّاب مجلّة المشرق المبرّزين في تحقيق مؤلّف كتاب دفع الهمّ هل هو اليّا اسقف نصيبين النسطوري ام غريغوريوس ابن العبري اليعقوبي فادلوا من الحجج واقاموا من الادلّة ما انجلى معهُ وجهُ الصواب او كاد فلهم الثناء على ما تجشموهُ من العناء في هذا البحث الخطير . ويا حبّذا لو فتح المشرق الاغرّ باباً لتحقيق مثل هذه المعاني ومؤلفيها القدماء لأبان الرغوة عن الصريح واتى من الفوائد بالمدهشات وهذا لا ينكرهُ الّا من أبتلي بداء العصبيّة المحظورة وقانا الله شرّها .

وعليهِ فان حقّ لي ان اقول شيئاً بين هؤلاء العلماء الاعلام في هذا البحث الجليل اتيت على وصف نسخة من هذا الكتاب ثم على حلّ مشكلات حضرة الاب الفاضل لويس شيخو اليسوعيّ مستميحاً العفو عن تطفّلي على اولئك الكتّاب الافاضل في هذا الباب فاقول

*

منذ سنة اتحفني جناب الاريحي الكريم الاخلاق رزق الله ابن شكر الله أيوب الماروني بنسخة نفيسة من الكتاب المبحوث عنهُ عنوَنتها ناسخها بما حرفهُ : « كتاب المعنونة على دفع الهمّ تأليف الاب النفيس الطاهر مطران نصيبين قدّس الله روحهُ ورحمهُ ورحمنا ببركة صلاتهِ امين » اه

وما كدت اطالع هذه النسخة بالتدبّر وامعان النظر حتى رأيتها اصحّ روايةً من النسخة المطبوعة واضبط منها عبارةً ومن قابل بين الاثنتين علم اختلاف الروايات وصعوبة الوقوف على الصحيح منها كما قال حضرة الاب لويس شيخو السابق الذكر

والنسخة المذكورة خالية من اسم ناسخها وتاريخ نسخها بل ان صفحاتها خالية من الاعداد ايضاً(١ شأن الكتب الخطيّة القديمة . والراجح انها من المخطوطات التي يرتقي عهدها الى القرن الخامس عشر . والغالب على الظنّ ان ناسخها ليس بحلبيّ بل من جهات ما بين النهرين كما يظهر لكل مطالع على الخطوط العربيّة (٢ . هـذا ما رأيتهُ حريًّا بالذكر من وصف النسخة المذكورة فيحسن بي ان آتي على حلّ شكالات مجلّة المشرق الخطيرة (٥ : ٣٤١) في مؤلف هذا الكتاب النفيس فاقول

*

ارتاب صاحب المشرق الانور كما ارتاب قبلهُ بعض علماء المشرقيّات في صاحب كتاب دفع الهمّ هل هو ابن سينا ام ابن العبري . وقد حملهُ على الريب في ذلك اسباب منها انهُ لا يعرف نسخة قديمة من هذا الكتاب سبقت عهد ابن العبري . ولا ريب في ان الاطلاع على مثل تلك النسخة المهيدة (٣ لمَّا يحل مشكلًا كبيرًا ولكنَّ ساء الحظّ الزمن وخان الجدّ العاثر عن التوصل الى المبتغى فحتًّا لنوائب الزمان وجوائحه وقلّة الحرص والعناية كم ذهبت بكثير من آثار رجال المشرق المشاهير حتى انك ترى تآليف عديدة لا ترتقي نُسخها الى عهد مؤلفيها حتى تآليف المتأخرين منهم فبات اهل البحث يروون بالعللّ لا بالمطل ويستعينون على درك الحقيقة بالاستدلال

فان استسلمتَ الى حكم الضرورة وراعيتَ طرق الاستدلال الآتية علمتَ انَّ ايليّا النصيبيني هو الواضع الاوّل لكتاب دفع الهمّ

امَّا القول بان نسخًا خطيّة من الكتاب في باريس ولندن واكسفرد تنسبهُ الى ابن العبري لا الى ابن سينا . فهذا القول مع الاعتراف باشكاله يزيلهُ القول ايضًا : بان نسخًا عديدة من الكتاب في حلب واكسفرد ورومة تنسبهُ صريحًا الى ابن سينا لا الى ابن العبري . فهل يُعدّ اتفـاق هذه النسخ العديدة على تلك النسبة الصريحة من

١) يؤخذ عن حاشية باللغة الايطالية ان النسخة المذكورة كانت في مكتبة الآباء اليسوعيين القدماء في حلب فعلّم احدهم صفحاتها بالاعداد الافرنجية

٢) يوجد نسخة أخرى من الكتاب تُنسب الى ايليـاً النصيبيني المذكور في خزانة كتب اخويَّة الرجال المارونية الحلبيَّة على ما انبأ بهِ كاتب قائمتها

٣) امَّا نسخة المكتبة البدلانية (المشرق ٥ : ٧٣٢) فقد اصاب الاب لويس شيخو بارتيابه في تاريخها لان ناسخها ابن الرومي لم يتجاوز العصر السادس عشر

الامور العرضيّة ام من الامور السهلة الحدوث ؟ ذلك ليس من الامرين في شيء على ما ازعم. ثم هل يُخال ان النسّاخ المتبايني الزمن والوطن والجنسيّة يمكن ان يتواطأوا على نسبة الكتاب زورًا الى ابن شينا ؟ وماذا حملهم على هذا التواطؤ ؟ ليس من داعٍ لذلك على ما اظنّ فان افاد احد بداعٍ من مثل هذه الدواعي لا احجم عن شكرهِ جهد الطاقة

فاذن قد اصاب الاب الفاضل لويس معلوف اليسوعي كلّ الاصابة بقوله (ص ٧٣٨): «ان ابن العبري اتى على هذا الكتاب وزاد عليهِ ما ينطبق على مقصد ايليّا النصيبيني (من جمل الكتاب ثلاثة اجزاء) فاخذ القوم ينسبون الكتاب اليهِ ويذكرونهُ في عداد تآليفهِ (دون التصريح باسم الواضع الاول) من باب ادخال الكلّ في حكم الاكثر اه» وعند هذا يندفع ذلك الاشكال والاشكال الثالث وهو: وجود اسم الكتاب في قائمة كتب ابن العبري التي ألّفها اخوهُ برصوما بعد وفاتهِ. ويزول ايضًا ارتياب العلماء المستشرقين واختلافهم في هذا الشأن

واما الاشكال الآخر وهو: ان اسم الكتاب لا يوجد في جملة تآليف ايليّا النصيبيني وفي قائمة كتبهِ التي سردها... عبد يشوع الصوباوي. فهو ولا ريب مشكل عسير ولكنّهُ يُحلّ ايضًا امّا بالسهو وامّا بعدم الاطلاع ولا عجب ان سها عبد يشوع عن نظم الكتاب في سلك تآليف سلفهِ النصيبيني وقد عاش بعدهُ بنحو ثلاثة اجيال أو لم يَنْهَ برصوما المذكور عن ذكر رسالة النفس في قائمة تآليف شقيقهِ ابن العبري (١ مع انهُ شقيق ومعاصر معًا

ولا يبعد عن الامكان عدم اطلاع عبد يشوع على الكتاب اذا راعيت قلّة النسّاخ وندرة الكتب الخطيّة وكساد بضاعة العلم في تلك القرون الوسطى فلا يبعد ان يفوتهُ هذا الكتاب فقد فاتهُ كثير من تآليف القدماء. وما استدركهُ عليهِ العلامة السمعاني وما خطّأهُ بهِ في كثير من المسائل خير برهان على ما أدّعي فتبصّر (٢

١) راجع المشرق (١: ٥٠٦ و ٧٤٥) ٢) وممّن نسبوا كتاب دفع الهمّ لإيليّا مطران نصيبين القس صليبا بن يوحنّا النسطوري من كتبة القرن الرابع عشر قال في زياداتهِ على كتاب اخبار بطاركة المشرق لعمرو بن متّى (طبعة الاب جسمندي ص ٩٩): «وفي ايامهِ (ايليّا الاول) استتباح الاب القديس مار ايليّا مطران نصيبين المعروف بابن السنّي صاحب كتاب المجالس وكتاب دفع الهمّ والتراجم...» ل. ش

واما الاشكال الاخير وهو ان في مقدّمة الكتاب ما يدلّ على انهُ . . . قسم الى ثلاثة اجزاء الخ . فارى انهُ لا يندفع الّا بهذين الوجهين وهما اما القول بان ابن شينا لم ينجز سوى الجزء الاول من الاجزاء الثلاثة كما افاد الاب لويس معلوف الآنف الذكر . واما القول بان التقسيم واقع على كل باب من ابواب الكتاب واليك البيان شيئاً فشيئاً

*

ان ابن شينا قد جعل مدار كلامهِ في كتابهِ على (اقوى الفضائل الدينيّة) وهي (ستّ فضائل) وعلى (اقوى الفضائل العقليّة) وهي (ستّ) ايضاً وافرد لكل منها باباً اورد فيهِ (من اقاويل القدماء وآداب الحكماء ومواعظ العلماء ما يبعث على اقتناء تلك الفضيلة واجتناب الرذيلة المضادّة لها) وهذا مُجمل الكتاب كما يظهر من استقرائهِ بادنى تأمل . ثم يقول بعد هذا في مقدمتهِ ما حرفهُ : « واجعل الكتاب ثلاثة اجزاء : الجزء الاول منهــا اضمّنهُ وصف الفضائل المقدم ذكرها المعينة على دفع الهمّ . والجزء الثاني اضمّنهُ من المواعظ والآداب والاقاويل المفيدة ممّا يعين المقتدي بها على اكتساب الفضائل المعينة على دفع الهمّ . (١ الخ » وهذا ما في الكتاب كلهِ . ثمّ يتبع ذلك بقولهِ : « وتشمل (اي الاجزاء الثلاثة) على اثني عشر باباً » (٢ وهذه هي ابواب الكتاب كلّها

والذي يزيد الامر بياناً هو انك اذا طالعتَ مثــلاً الباب الاول تراهُ يأتي في مطالعهِ على وصف فضيلة الديانة ومنقصة المعصية (ص ٨ وما يليها من النسخة المطبوعة) وهكذا يصنع في سائر ابواب الكتاب وهذا هو الجزء الاول كما رأيتَ . ثم يورد بعد هذا (من المواعظ والاقاويل الواردة في ذلك) كآي الكتاب المقدّس وحكم فيثاغورس

١) تروى هذه الفقرة في النسخة المطبوعة هكذا : « واجعــل الكتاب ثلاثة اجزاء . الجزء الاول منها اضمّنهُ وصف الفضائل المتقدّم ذكرها والمواعظ والخطب والاقاويل المفيدة فيما يعين على اقتنائها . والثاني اضمّنهُ من الاخبار والقصص ما يعين المقتدي بها على اكتساب هذه الفضائل الخ » ولا يخفى ما في عطف (المواعظ) على سابقها من القلق والتشويش وهذا مع ما تراه في المتن يثبتان صريحاً ان النسخة التي بيدي اصحّ رواية من النسخة المذكورة فتأمل

٢) هذه العبارة ساقطة من النسخة المطبوعة

وسولون وأوميرس وميتندروس وسقراط (ص ١٠ وما بعدها) الى غير ذلك (مما يعين المقتدي بها على اكتساب) فضيلة الديانة. وهكذا يفعل في كل ابواب الكتاب وهذا هو الجزء الثاني كما علمت. ثم يعقب ذلك بما يورده عن الاعرابي وعن بعض النسّاك وعن كسرى انوشروان و بزرجمهر (راجع الصفحة ١٨ و ٢٠ و ٢٢) الى غير ذلك « من حيل اهل الفضل والعلم والذكاء » وهكذا يصنع في سائر ابواب الكتاب حاشا باب التوبة وهذا هو الجزء الثالث كما مرّ بك آنفاً (١. وبناء عليه يكون الكتاب تامّ الوضع في الاصل كما صدر من قلم مؤلّفه النصيبيني من حيث لا يمكن ان يتصوّر ان النسّاخ يسقطون من كتاب جزءين كبيرين مهمّين كما هو الحال في الكتاب المبحوث عنهُ فلا بدّ من القول ان الكتاب الواحد غير الثاني او الثاني اوسع من الاوّل او بالتالي ان ابن العبري اخذ عن ابن شينا وزاد فنسخ النسّاخ كما رأوا في الكتابين

واماً ما جاء في النسخة المطبوعة من ان الجزء الثاني يتضمّن « من الاخبار والقصص ما يعين المقتدي بها الخ » فهو مدخل على كتاب النصيبيني بلا ريب لخلوّ بعض النسخ منهُ وهذا يثبت اثباتاً واضحاً ان ابن العبري اتى على الكتاب او انتحلهُ فزاد الجزءين الاخيرين او تمّمهُ بهما كما هو ظاهر

هذا وليس العجب في نسبة الكتاب الى رجل كابن العبري طبّق صيتهُ المشرق كلّهُ وفاق اهل عصره بتآليفه العديدة الغرّاء بلا منازع وانت تعلم ان من طبع الناس ان ينسبوا الى من عُرف بالمحامد والفضائل في عصره كلّ حمد وفضل عُرفا لغيره بل العجب في نسبته الى ابن شينا وهو دون ذلك شهرة وهذا مماّ يحمل على الاعتقاد بان النسبة ليست بمزوّرة بل ليست بعارية عن شبه الحقيقة على الاقل. وعلى كل حال فما اوردتهُ من مثل هذه الاستدلالات ان لم يفد القطع بالامر فلا اقلّ من انهُ يفيد الترجيح ولكنهُ يعين على التوصل الى اجتلاء الحقيقة عن محضها فتأمّل

فان لم ينجلِ وجه الريب بما تقدّم ايرادهُ استلفت انظار كتبة المشرق المجرّدين الى

---

١) نعم ان المؤلف لم يصرّح بهذا الجزء الثالث ولم يعينهُ كما صرّح بالجزء الثاني وعيّنهُ بل ادمجهُ بسابقه او رصمهُ ببعض اقوال اهل الفضل والعلم الخ ولكنهُ يظهر صريحاً كما سترى

المقابلة بين الكتاب وتآليف ابن شينا العربيَّة وتآليف ابن العبري العربيَّة فان هذه تعدّ القائد الامين في حلّ الاشكال وعندها تسطع الحقيقة بكل ضيائها. واني في الختام اثني على صاحب المشرق الاغرّ بلسان اهل البحث كافةً لنشرهِ مثل هذه المباحث الجامعة بين اللذة والفائدة لعموم القرّاء الكرام

هذا ما عنّ للخاطر القاصر اوردتهُ بكل التدقيق سعياً وراء الحقيقة لا تنديداً باحدٍ من الناس ولا تخجيلاً لآخر فان كنت اصبتُ فيا تحرَّيتهُ فغاية المرام والّا فالعصمة لله الواحد العلّام والسلام

شهيدان سوريّان

نظرٌ للاب لويس جَلابرْتْ اليسوعيّ

قلّما نجد بين اقطار الشرق بلاداً كسوريَّة امتازت بآثارها الدينيَّة. فلا نكاد نخطو خطوةً الّا نعثر على بعض المآثر التي تنبئ برسوخ قدم النصرانيَّة في هذه الاوطان مدَّة الاعصار الخالية. ولنا على ذلك احسن شاهد في اوليائهِ الذين اورثوا بلادنا فخراً عظيماً وخلّفوا من بعدهم اطيب ذكر

ومصداقاً على هذا القول احببنا ان نبحث عن ترجمة شهيدين قديسين ماتا في سبيل الايمان في سوريَّة فانتشر اسمهما في الشرق الى اقصى حدودهِ وبلغ الاصقاع الغربيَّة حتى عمَّ بلادها جمعاء. والشهيدان المذكوران هما القديسان سرجيوس (سركيس) وباخوس من شهداء القرن الثالث (١ وعيدهما تقيمهُ الكنيسة في اليوم السابع من الشهر الجاري اي تشرين الاول

*

كان سرجيوس وباخوس ضابطين يخدمان القيصر الرومانيّ مكسيميانوس غاليريوس في كتيبتهِ المعروفة بفرقة الغرباء (schola gentium). وكانا قد ابليا البلاء

١) نقلنا هذه الترجمة عن اصدق المؤرخين الذين كتبوا اعمال الشهيدين. وفي تراجم البولنديين خمسون صفحة ضخمة راجعناها فاخذنا منها زبدتها

الحسن في الحرب التي اصلاها الرومان على الفرس (١ سنة ٢٩٧ فحظيا عند القيصر ونالا من نعمه نصيباً فجعل سرجيوس ضابطاً اوّل (primicerius) وباخوس ضابطاً ثانياً تحت امره (secundarius)

واعلم ان الكتبة الذين افاضوا في ذكر استشهاد هذين القديسين ضربوا صفحاً عن اصلهما ولم يفيدونا عن اعمالها الّا النزر القليل. ومن المرجح انهما كانا من أسرة شريفة متمتّعين بالحقوق المدنيّة الرومانيّة ولولا ما تزيّنا به من السجايا الفريدة لما اصابا عند القيصر مكسميان الاثرة والحظوى. بيد ان هذه الزُلفة عند الملوك لم تلبث ان تحوّلت فصارت عليهم وبالًا. فانّ بعض الحسّاد اذ رأوهما في هذه الرتبة الرفيعة سعوا بهما الى القيصر سيّدهما ورموهما بالكفر لامتناعهما عن عبادة الاصنام فاستدعاهما الملك وعرض عليهما السجود للطواغيت وتقدمة الذبائح لآلهة المملكة فلم يجيبا الى طلبه هاتفين: « ان لنا ملكاً ازليّاً هو المسيح ابن الله فأيّاه نعبد لا الخشب والحجارة ولهُ نقرّب كل يوم ذبيحةً مقدّسةً حيّةً ». ولمّا لم يجد الطاغية وسيلةً من وعد او وعيد من تمليق او تهديد ليثني الضابطين عن عزمهما استشاط غضباً وامر بان تُنزع عنهما شارات رتبتهما العسكريّة ثم البسهما لباس النساء ازدراء واحتقاراً واثقلهما بالحديد

وكان مكسيميان غاليريوس شديد البغض للنصرانيّة يتكل باصحابها ويذيقهم الموت الوانًا. لكنّهُ لم يجسر ان يوقع بخادمين امينَين بذلا الروح دونهُ وأخلصا لهُ الولاء في الجنديّة ولعلّهُ تخوّف من شغبٍ يقع في عسكره اذا ما حكم عليهما بالموت فالتجأ الى ضروب التهويل والتلطّف لكنّهُ وجد بهما بطلين صنديدين لا تعمل بهما المخاوف والمواعيد

فعهد حينئذٍ بامرهما الى قائد الجيش انطيوخوس وكان معروفاً بفظاظة طباعه وشراسة اخلاقه فضلًا عمّا كان في قلبه من الحزازات على النصارى. فامر للحال بأن يُوتى بباخوس فجُرّد من ثيابه وأُلقي على ظهره وضُرب بالسياط ضرباً مبرّحاً اجرى دماءهُ سيولًا وكان الشهيد مع ذلك لا يفوه ببنت شفة حتى ولم يُسمع لهُ صوت انين وبقي على ذلك حتى لفظ روحهُ البارّة بين يدي خالقه. امّا جثّتهُ الطاهرة فطرحها المتعصبون في بالوعة لكنّ بعض الجند المتنصرين تمكّنوا من استخراجها فدفنوها

(١ راجع P. Allard: *Hist. des persécutions*, T. IV p. 113-114 en note

بزيد الاكرام. وقد ظفر باخوس باكليل الاستشهاد في مدينة بَرْبالسَّة المعروفة اليوم بالس

امَّا سرجيوس فكان ينتظرهُ جهاد اعظم من رصيفهِ في الجنديَّة واخيهِ في الايمان فاعدَّ نفسهُ بالصوم والصلاة لما كان يتوقَّعهُ من المحن. فلمَّا وصل الجيش الروماني الى مدينة سورة (الحمَّام) استحضر القائد سرجيوس وطلب منهُ ان يجحد ايمانهُ فاجاب برصانة وحزم: «لستُ فاعلًا فاصنعوا بي ما شئتم». فتقدَّم انطيوخوس الى عمَّالهِ ان «اجعلوا في رجليهِ حذاء ذا مسامير محدَّدة واكرهوهُ على ان يجري امام مركبتي مسرعًا». فمشى على هذه الحالة مسافة عشرين ميلًا حتى بلغ مدينة تدعى تترابرغيا. فاخذ العجب انطيوخوس لرباطة جأش الشهيد وصبرهِ على مرّ النكال واظهر لهُ بعض الاسف على اوجاعهِ فاجابهُ: «اني لا اشعر بالم البتَّة واتمَّا عذاباتكم لديَّ احلى من شهد العسل». فنسب القائد هذا الكلام الى العناد والتعنُّت وامر بان يُساق سرجيوس الى الموت. فسار الى محلّ العذاب وهو يتهلَّل فرحًا اذ أهلهُ الله لان يُهريق دمهُ لاجل اسمهِ. ثم صلَّب على وجههِ ومدَّ عنقهُ لسيف الجلَّاد. وكان موتهُ في مدينة رصافة حيث دُفن فدُعيت البلدة مذ ذاك باسمهِ سرجيوبوليس. والى مدفنهِ نُقل بعد قليل جسم باخوس رفيقهِ ليضمَّهما قبر واحد كما اجتمعا في الايمان والجهاد

*

عاد مكسميان غاليريوس بجنودهِ الى الغرب ونسي الضابطين اللذين ضحاهما لدينهِ الباطل لكنَّ الله لا ينسى اولياءهُ فما مرَّ على استشهاد سرجيوس وباخوس زمن قليل حتى اخذت جماهير المتنصرين تُيتّم مشهدهما وتتبرَّك باستلام ضريحهما حتى شاع اسمهما في كل بلاد الشام. وممَّن دوَّنوا ذلك في تواريخهم تاودوريطس اسقف كورش من كتبة القرن الخامس (١ فانهُ يذكر توارد الزوَّار منذ قديم العهد الى ضريح الشهيدين لاسيَّما يوم عيدهما الذي كان يضاهي اعياد الرسل الحواريين بطرس وبولس وتوما رونقًا

وممَّا يثبت نموَّ عبادة المؤمنين نحو القديسين سرجيوس وباخوس انَّ خمسة عشر اسقفًا اجتمعوا في ذلك القرن واخرجوا ذخائر الشهيدين ليجعلوها في معبد واسع اقيم على ذكرها بلغت نفقاتهُ ٣٠٠ مثقال ذهب

ومن ذلك ايضًا رسالة الاسكندر اسقف منبج كتبها سنة ٤٣٢ الى الملكة

١) راجع كتابهُ في معالجة ادواء الوثنيين (ك ١ ف ٩)

اودكسيا امّ تاودوسيوس الصغير يشكو اليا تعدّي بطريرك انطاكية على حقوقه بخصوص كنيسة الشهيدين سرجيوس وباخوس. وهذا الخصام دليل كافٍ على عظم شأن هذه الكنيسة وتقاطر المؤمنين اليا مذ ذاك العهد العهيد

ولم تنحصر عبادة القديسَيْن في محلّ استشهادهما بل شرع المؤمنون يشيّدون على اسمهما مشاهد وكنائس في انحاء شتى كما استدلّ على ذلك ارباب العاديّات. منها مشهد (ἱερόν) في البثنيَّة في قرية الحثّ (Eitha) التابعة لشهبه (Philippopolis) وقد وجد العلاّمة وادنغتن (١ الكتابة التي كانت على باب هذا المقام. ومنها كنيسة في جهات الصفا (٢ بُنيت سنة ٥١٧ م وأخرى في حوران في دير القاضي عند بصرى الحريري (٣

وممّا زاد في نشر اسم الشهيدين ما صنعهُ الله على يدهما من المعجزات العديدة والآيات الجليلة ذكر المؤرخون بعضها. منها ما رواهُ نيقيفور كالستوس في تاريخه الكنسي (ك ١٥ ف ٢٣) عن احد الموسويّين كان سعى بهِ اعداؤهُ ظلماً فنسبوا اليهِ الشغب والمكيدة على الدولة وحكموا عليهِ بان يُحرَق مع ولديهِ فلم يرَ المسكين لنجاته وسيلة الّا ان يستغيث بالقديس سرجيوس طالباً اليهِ ان يذكّهُ من هذه التهمة وينجيهُ من النيران الملتهبة. فما ختم صلاتهُ حتى ظهر فوق النار فارسان اخمدا سعيرها على اعين الشعب وخلّصا المظلومين فهتف الشعب صارخاً: « واعجباه. فليحيَ سرجيوس وباخوس » امّا اليهودي وولداه فعظّموا الله في قديسيهِ واصطبغوا بالعماد واقاموا للشهيدين كنيسة حيث صارت المعجزة وتولّوا سدانتها طول حياتهم (٤

وممّن متّعهم الله بشفاعة القديسين سرجيوس وباخوس الملكان يوستينوس ويستنيانوس فانهما اذ كانا قائدين لانسطاس الملك حُكم عليهما بالقتل فاستشفعا بحماية الوليَّين فتراءيا للملك وامراهُ باطلاق سراح القائدين فامتثل امرهما. امّا القائدان فعرفا للشهيدين هذه النعمة وشيّدا كنيسةً على اسمهما في اشتودرة (٥. ولمّا صار زمام الملك الى يدَي يستنيان ابتنى لسرجيوس وباخوس بيعةً غاية في الجمال كبيعة الرسولين

---

١) راجع كتابهُ Inscriptions grecques et latines de la Syrie, n° 2124

٢) W. n° 2477 ٣) W. 2412

٤) راجع كلستوس (Nicéphore Calliste: *Hist. Eccl.* l. XV, c. XXIII)

٥) راجع المورخ زوناراس (Zonaras: *Annales*, l. XIV, c. IV)

بطرس وبولس وشيّد ديرًا على اسمهما في عاصمته ونقر في فلسطين بئرًا لرهبان دير مار سرجيوس واقام معبدًا لهما في عكّا واغنى كنيستهما في رصافة بمواهب جزيلة منها صليب ذهبيّ كبير القيمة (١

وقد شعرت مدينة رصافة المذكورة غير مرَّة بشفاعة القديسين سرجيوس وباخوس وخصوصًا لمَّا حاصرها كسرى ملك الفرس بجيوشهِ وكاد يفتحها ولم يكن فيها من الجند من يحميها فظهر على صور المدينة جيشٌ من الفرسان والجند رموا الفرس بالسهام وردُّوهم خائبين (٢

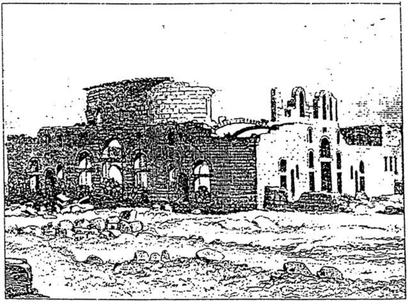
فكان لكلّ هذه العجائب رنَّة واشتهار حتى بلغ ذكرهما كلّ العالم المسيحيّ فشُيِّد لهما معابد ومقامات واديرة في اقطار الارض جمّاء منها كنيسة مار سرجيوس في العراق وكنيستهُ بقرب نصيبين سنة ٦٢٨ . ومنها كنائسهما في بلاد ايليرية (روملي) وبلاد مصر . بل انتشرت العبادة نحوهما في كلّ بلاد غالية كما شهد على ذلك المؤرخ غريغوريوس من طور (٣ في اخبار زمانهِ (٥٣٩—٥٩٣) وممَّا روى ان الملك غُندبو (Gondebaud) كان يحمل على صدرهِ اصبعًا من ذخائر القديس سرجيوس في حروبهِ . ومن آثار هذا التعبُّد ديرٌ بناهُ في فرنسة الملك كلوفيس الثاني في القرن السابع على اسم الشهيدين السوريين تجاوزها مدَّة اعصار متوالية لاسيَّما اذ اتاهُ قسمٌ من ذخائر القديسين في سنة ١١٥٢ فمنح الكرسيّ الرسوليّ غفارين ليوم عيدهما وكان يُحتفل بهِ كلّ سنة احتفالًا بهيجًا . وكذلك كان يُعيَّد لهما في مدينة طور عيدٌ في كنيسة القديس مرتينوس شفيع البلدة على حسب منطوق براءة البابا بولس الثاني سنة ١٤٦٩ . ولم تتأخَّر باريس عن اكرام القديسين فكان لهما كنيسة في حيّ سان جاك . امَّا رومية العظمى فكانت تكرّم الشهيدين سرجيوس وباخوس في اربع من كنائسها او اديرتها . وترى حتى الآن مدينة البندقيَّة تقيم لذكرهما عيدًا سنويًا يرتقي في سلَّم الاعصار الى سنة ٨٥٠ وكذلك عاصمة بوهيمية مدينة پراغ التي اهداها ملكها كارلوس الرابع ذخائر من عظام الشهيدين

---

١) راجع بروكوبيوس (Procope : *de Ædificiis*, l. I. c. IV)

٢) راجع افاغريوس (Evagrius : *Hist. Eccl.* IV. 28)

٣) راجع تاريخهُ Grég. de Tours : *Hist. des Francs* l. VII. c. 31 وكتابهُ *De gloria Martyrum*. l. I. c. 97



اخربة كنيسة الشهيدين سرجيوس وباخوس في بصرى (حوران)

اماً بلادنا السوريَّة فانَّ بقايا ذكر القديسين سرجيوس وباخوس فيها كثيرة كالكنائس والاديرة وغير ذلك منها دير في ريفون للموارنة ودير شهير في معلولا للروم الكاثوليك (١ وكنائس أُخرى عديدة ذكرها السمعاني في المكتبة الشرقيَّة (٢. وقد ذكر العدد السابق من المشرق (ص ٩٠٩) كنيسة القديس سرجيوس وباخوس في مدينة بصرى من اعمال حوران ومما يُستدلّ بهِ على ذلك قطعٌ وجدها الاب لويس شيخو في حمص من انجيل القديس لوقا مكتوبة باليونانيَّة على رقّ غزال نُزعت من كتاب كان يخصّ كنيسة هذين القديسين في سنة ١٣٤٤ والكنيسة المذكورة من اقدم كنائس النصرانيَّة بُنيت سنة ٥١٢ للميلاد (٣

١) راجع خزائن الكتب في دمشق وضواحيها (ص ١٥٨)
٢) راجع Assemani: *Bibl. Orient.* II 127, 358, 422
٣) راجع وادنتون (W. n° 1915)

وفي الختام نتمنّى ان يعود اهل بلادنا فينشروا في قلوبهم العبادة نحو اولياء الله الذين زيّنوا الكنيسة بفضائلهم فعلينا ان نمشي على آثارهم كي ننال بشفاعتهم ما نالوا من الثواب الجزيل نفعنا الله بصلواتهم

من رياق الى حماة

رحلةٌ حديثة للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة لما سبق)

ومّما اطّلعنا عليهِ في حمص من المخطوطات النصرانيَّة ثلاثة كتب خطّها احد الملكيين في اوائل القرن الثامن عشر يحفظها اليوم حفداؤهُ كذخيرة في بيوتهم. والكتاب (الاوّل) يصونهُ الخواجا مرشد افندي سمعان يُدعى «الكافي في المعنى الشافي» وهو «ممّا اوردهُ البارّ الانبا جراسيموس رئيس دير القديس سمعان العجائبي وذلك في تثبيت دين النصرانيَّة القويمة الراي. فرغ من نسخهِ في ٢١ تشرين الثاني سنة ٧٢٠٩ لآدم الموافق لعشرين جمادى الثاني من السنة ١١١٢ الهجريَّة (١٧٠٠ م) على يد يوسف بن عبد الله بن يوسف الملقب بالشدياق من قرية كفر حلدا من ناحية البترون من اعمال طرابلس الشام القاطن يومئذٍ بمدينة حمص» وصفحات الكتاب ١٩٤ وفي آخرهِ «كيكلوس في معرفة الاشهر الروميَّة والعربيَّة وفي الاعياد المتنقلة في ثمانية عشر باباً».
والكتاب الثاني نسخهُ يوسف بن عبد الله الشدياق المذكور سنة ٧٢١٨ لآدم (١٧٠٩ م) وهو يحتوي زبور داود ويصان في بيت المعلّم الفاضل نيقولا افندي اسكندر من وجوه كاثوليك حمص. والكتاب (الثالث) لدى احد انسبائهِ من بيت نسيم وهو كتاب في القواعد الشمسيَّة نسخهُ يوسف بن عبد الله المذكور ولم يذكر مؤلّفهُ. في اوّلهِ مقدّمة مفيدة لتاريخ النصرانيَّة في بلادنا نوردها بالحرف :

«نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقهِ بنساخة القواعد الشمسيَّة وحساب الكيكلوس القمري لاجل عيد الفصح المجيد وسبب ذلك انهُ في سنة سبعة آلاف وسبعة واربعين (١٥٣٨م) وقع الخلاف بين جماعة الملكيَّة وجماعة الطوائف الاراطقة بسبب عيد الفصح المجيد لانَّ جماعة الملكيَّة المستقيمين الامانة عيّدوا في ستَّة ايّام من نيسان وظهر لهم الحقّ العظيم. واماّ جماعة طوائف الاراطقة فانهُ كان على كنيسة القدس امين اسمهُ النقّاش وان جماعة الاراطقة برطلوه بالف دينار فاشعل للطوائف من القنديل. وكاتبُ الاحرف لمَّا اجتمع في قارا بسبب العيد وكان سبب الجمع

الاب السيّد البطريرك ميخائيل الانطاكي (١ والاسقف يوحنَّا اسقف يبرود واسقف صيدنايا ومطران بعلبكّ واسقف الزبداني ومن جميع البلاد خوارنة وقسوس وشمامسة من جميع النورية الانطاكية اجتمعوا الى عند الاب السيّد البطريرك وما عرفوا ايش يمسكوا من الحدود الذي من المعاد الى مرفع اللحم وانَّ المذكورين لمَّا اشتبه عليهم الحساب سبب زود الدقائق الزائدة فارسلوا الى الشماس ابراهيم ابن المطنط في بيروت يخبروا منهُ فارسل يقول لهم: « وانا اختلف الحساب عليَّ » وان الشيخ سليمان ابن المكيكة ارسل ورا التلميذ واحضرني الى عندهم وبرهنتُ لهم حساب الدقائق وزودها وجمعتُ لهم الزود الى سنة سبعة عشر وسنة ثمانية عشر وتسعة عشر تكون تجمل ايام الخليقة سبعة حتَّى صحَّ لهم الحساب لانَّهم لم يكونوا في زمان الاوَّل يوءرخوا لنا سنة النلطة (٢ فما كان صار بين الطوائف خلف. وانَّ التلميذ حسبتُ لهم ان يرفعوا في تسعة ايام من شباط فرفعوا جماعة الملكيَّة في ٩ ايَّام من شباط وظهر لهم الحقّ والعيد في ٦ ايَّام من نيسان واماَّ بقيَّة الطوائف فما كانوا لهم جمعة النقيَّة اوَّل جمعة الصوم وصاموا جمعة الفصح الجيد. ولاجل ذلك اخذتِ التلميذ غيرةٌ واخرجتُ لهم من شبكة يوحنَّا الدمشقي لا غير حساب من سنة سبعة الاف وسبعة واربعين الى سنة سبعة آلاف ومائتين وسبعة وثلاثين برهنتُ فيها في كم يكون فيها العيد العظيم وكم تكون القاعدة الشمسيَّة وكم يكون عدَّة صوم الرسل »

وهذا اوَّل الحساب لترى طريقة المؤلف:

« ولمَّا كانت نسخة هذه الكراسة كان حساب ابونا آدم وصل الى سنة سبعة الاف واحدى وثمانين (١٥٧٣م) كان كيكلوس القمر ١٣ والقاعدة ٣ ومرفع اللحم في ٢٥ كانون الثاني وفصح الناموس في ٢١ آذار والعيد المجيد في ٢٢ آذار وعدَّة صوم الرسل ٦٢ يوم — وسنة اثنتين وثمانين كيكلوس القمر ١٤ والقاعدة ٤ ومرفع اللحم في ١٤ شباط وفصح الناموس في ٩ نيسان والعيد في ١١ نيسان وصوم الرسل ٣٢ يوم... الخ »

وتاريخ نسخ الكتاب والقاب الناسخ كالكتابين السابقين

وقد أطلعنا ايضاً حضرةُ القس انطون عبد صمد على كتاب طقوس سريانيّ مع شروح بالعربية اماَّ خطُّهُ فهو الخطّ المعروف بالملكيّ القريب للكلدانيّ والسطرنجيلي وهو يحتوي على الطروباريَّات والقنداقات والارموسات والصلوات القانونيَّة وقوانين الآباء التي كان يصلّيها الملكيُّون في شهر ايلول (٣. ولبعض هذه الصلوات السريانيَّة علامات موسيقيَّة كالتي وصفناها سابقاً في المشرق (٥: ١٠٥). والكتاب المذكور يُحفظ الآن في مكتبتنا الشرقيَّة. وفي آخر فرائض شهر ايلول ما حرفهُ وبهِ يُعرَف زمان نسخ الكتاب

---

١) يريد البطريرك ميخائيل السادس الذي جلس على كرسي انطاكية من سنة ١٥٣٩ الى ١٥٥٣ وهو اوَّل من نقل كرسيَّهُ الى مدينة دمشق ٢) قال مؤلف الكتاب: سنة النلطة تدور دورةً كلّ خمسة وتسعين (٣ وقد وصف جناب الاديب حبيب افندي زيَّات كتباً مثل هذا في كتابهِ المطبوع حديثاً عن خزائن دمشق ونواحيها

وكان الفراغ من هذا الكتاب المبارك وهو شهر ايلول نهار الاربعاء ثالث عشر من شهر آب المبارك سنة سبعة الاف واثنتين للعالم (١٤٩٣م) بيد العبد الخاطئ الذليل المسكين المحتاج الى رحمة السيّد المسيح يوحنّا باسم قسّ وراهب ابن القس ابراهيم من مدينة قارا غفر الله له ولوالديه وهو يسأل ويتضرّع الى كلّ من يتأمل هذه الاسطر الحقيرة: يسامحهُ بالنقص والغلط . . .

*

وفي مساء الثلاثاء ٢٣ ايلول ركبنا القطار سائرين الى حماة والمسافة بينها وبين حمص ٤٦ كيلومترًا يقطعها البخار في ساعة ونصف بتيف وليس بين المدينتين محطّات مهمّة اللهمّ الّا تلبيسة تكثر فيها التلّات ومن خواصّ هذه القرية انّ بيوتها مستديرة في اسفلها محدّدة الرؤوس على شبه اقراص السكّر. ثمّ تمرّ السكّة في بطائح ووهاد وتعبر نهر العاصي وتسير في اراضٍ كثيرة المرافق طيّبة التربة الى ان تبلغ بعد المشيّ محطّة حماة وموقعها فوق ربوة تشرف على المدينة

وكان نزولنا في السعة والرحب في دار حضرة الخوري الفاضل الغيور الاب الياس مصري السريانيّ وجناب اخيه يوسف افندي

وفي صباح الغد تفرّغنا لزيارة المدينة وآثارها. وحماة مع ما اصابها من نكبات الزمان لا تزال مدينة كبيرة من حواضر الشام يتجاوز عدد اهلها ٦٠ الفًا ولعلّهُ يقرب من ٨٠٠٠٠ اكثر من ثلثيهم مسلمون والباقون روم اورثذكس وسريان يعاقبة مع قليل من الكاثوليك. وحماة مدينة نزهة رائعة الجمال حسنة الموقع مبنيّة على منعطف ضفّة العاصي الشرقيّة بين تلّتين منتصبتين متوازيتين تعرفان بقرني حماة والبساتين تطيف بها وتحفّها بمنطقة بديعة من الخضرة والاشجار ونهرها العاصي يشقّها جاريًا حولها شمالًا وشرقًا وعليه عدّة نواعير تسقي بساتينها تبلغ دائرة بعضها ستين مترًا بتيف. وعلى النهر اربعة جسورة. وقسمٌ من البلد مبنيّ على ربوة تُعرف بالعالية او الطيّارة موقعها جنوبيّ شرقيّ المدينة. ومن احيائها تلّ القلعة شمالًا وحيّ الباشورة شماليّ شرقيّ البلدة وحارة الشيخ عنبر العبد على ضفّة العاصي الشماليّة وحارة الشيخ محمّد الحورانيّ. امّا النصارى فلهم شماليّ غربيّ المدينة ثلاث حارات الدهّان والحوش والميدان. وفي المدينة نيّف واربعون جامعًا او مسجدًا اعظمها الجامع الكبير يرتقي عهد بنائهِ الى زمن الرومان. وبيوت حماة رحبة في وسطها الدار والايوان يحدق بها غرف مختلفة الكبر. وربّما وُجدت في الدار بركةٌ يجري اليها ماء نهر العاصي وتظلّلها الاشجار

وحماة بسبب نهرها كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار رائجة الاسواق ولا شكّ انّ السكّة الحديديّة تفتح لتجارتها بابًا واسعًا لتنقل غلّاتها الى سواحل الشام ومنها الى البلاد الاجنبيّة

ومن غلّاتها المشهورة قمحها الجيد الكثير الطلب. وفيها الذرة والشعير والسمسم وانواع الحبوب والبزور من عدس وحمص وغير ذلك. ولها المنسوجات الحريريّة والقطنيّة اشهرها المناشف الخاصّة بها. وعدد انوالها يبلغ ثلاثة آلاف نول يربح منها اهل حماة نحو الف الف فرنك. وفيها الفواكه الكثيرة الطيّبة

وليس في حماة آثار باقية تُذكر. وممّا نزدناه كنيسة الروم وهي قديمة العهد يُنزل اليها بدرج لارتفاع الارض من حولها بعد كرور الادهار وهي مبنيّة على الطرز القديم كبيع الشرق في القرن التاسع والعاشر. وقسم منها كان يصلّي فيه سابقًا السريان اليعاقبة وهو اليوم محلّ النساء. وعلى احد مذابح هذه الكنيسة كتابة يونانيّة قديمة كُتبت سنة ٩٠٧ للسلوقيين اعني ٥٩٦ — ٥٩٧ للمسيح يطلب فيها مارا وقزما مقيما المذبح صلاة المؤمنين(١). وكذلك كتابة أخرى يونانيّة ذهب معظمها في الدرج المقابل للكنيسة

ومن آثار حماة قلعتها وهي اليوم عبارة عن تلّ من الرمل والتراب المرصوص تتّسع افناؤه في اعلاه فيمتدّ البصر منه الى كلّ جهات المدينة حتى اقاصي الافق. وكان هذا الحصن حريزًا في سابق الزمان واعطافه مفروشة بالبلاط كقلعتي حمص وحلب وفوقه الابنية المنيعة لردّ الاعداء وكان حوله خنادق عميقة يبلغ ارتفاعها نحو مئة ذراع. امّا تاريخه فيرتقي الى الوف من السنين والمرجّح انّ اسم حماة مشتقّ من اسم القلعة. وحماة باللغات الساميّة الحمى والحصن المنيع

وما لا ريب فيه انّ حماة من اقدم مدن العالم تكرّر ذكرها في كتب موسى النبي وبقيّة اسفار العهد القديم وربّما دُعيت هناك חמת רבה اي حماة الكبرى دلالةً على عظم شأنها ومقابلة بينها وبين حصون أخرى اصغر منها. امّا مدخل حماة فالارجح انّه اوّل سهل البقاع لاتصاله بحماة

واوّل من سكن حماة قبائل من بني كنعان ثمّ صارت الى دول شتّى من حثيين ومصريين واشوريين وفرس ويونان ورومان وعرب. وفي حماة اكتُشفت الحس

١) راجع المجلّة الفلسطينيّة (ZDPV, VII, 124)

الكتابات الاولى الحثية المعروفة اكتشفها الرحالة بركهرت (Burckhardt) سنة ١٨١٢ ثم وجد منها في امكنة أخرى (راجع المشرق ٥: ٧٦٠) وهذه الكتابة سرها مجهول حتى الآن وهي تشبه في طريقتها التصويرية الكتابة المصرية المعروفة بالهيروغليفية الّا انها ناتئة

وفي أيام اليونان دُعيت حماة «ابيفانية» باسم الملك السلوقي انطيوخس الرابع ابيفانوس (الشهير) ولمّا قُسم اقليم سورية الى سورية الاولى وسورية الثانية دخلت حماة في سورية الثانية تحت حكم افامية. ودخلت فيها النصرانية منذ القرون الاولى بعد الميلاد. واول اسقف ذكر لها يدعى موريقيوس ممّن شهدوا المجمع النيقوي. واشتهر في القرن الخامس اسقفها قزما الذي حرم ساويرس البطريرك الدخيل. ثم ازهرت النصرانية في جهات حماة وبُنيت الاديرة العظيمة التي لا يزال بعض آثارها موجودة حتى اليوم

وفتح العرب حماة سنة ٦٣٩ م (١٧ هجرية) على يد ابي عبيدة وحصّنوها واتّخذوا لها سورًا يُرى شيء من بقاياه حتى الآن على انّ الزلازل توالت على حماة واخربتها مرارًا وخصوصًا في سنتي ٨٦٦ و ١١٧٠. وممّن استولى على حماة السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبي انتزعها من ايدي الفاطمية وصارت من بعده الى فرع من دولته الأيوبية التي اشتهر منها الملك المؤيد اسماعيل المعروف بابي الفداء صاحب التاريخ المشهور ومصنّف تقويم البلدان. ثم دخلت في حكم الدولة العليّة في ما دخل بعد فتح السلطان سليم الغازي سنة ١٥١٧ وهي اليوم مركز لمتصرفيّة من ولاية سوريّة

وقد خرج من حماة بعض مشاهير الرجال نخصّ منهم بالذكر ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان وتقيّ الدين ابا بكر المعروف بابن حجّة الحموي مؤلف خزانة الادب وثمرات الاوراق وغير ذلك

وممّن اسعدنا الحظ ان نجتمع بهم الشيخ الفاضل محمّد افندي الحريري مفتي حماة واحد اتمتها المعدودين فلقينا به رجلًا واسع المعارف محبًا للآداب. وكذلك حظينا بمواجهة بعض افاضل النصارى كصاحب العزّة تامر افندي فرح احد وجوه حماة وحضرة الخوري مراد سويد وجناب الدكتور سليم الخوري والدكتور توفيق سأوم والمعلّم باسيل افندي جباره وكلهم من رجال الفضل ممّن يُستأنس برؤيتهم ويُقتبس من آدابهم

امّا المآثر الادبية والمخطوطات فانّنا لم نجد منها في حماة ما كنّا نأملهُ ولعلّ وقتنا القصير حال دون ذلك. وممّا تاكدنا انّ في كنيسة السيّدة للروم الاورثذكس صندوقاً مملوءًا من التآليف الخطّية كان ضابط مفتاحهِ غائباً فلم نتمكّن من فحص آثارهِ. وكذلك بلغنا انّ بعض القمّة وجدوا قبل سنين قليلة كتباً نصرانية قديمة تحجز عليها احد الخواصّ فلم يسمح لاحد بان يراها. وممّا افادنا بهِ الثقة انّ احد شيوخ النصيريّة في جوار حماة اكتشف على توراة قديمة العهد مكتوبة بالخطّ الكوفي يضنّ بها ويواريها عن العيان

وكان وداعنا لحماة واهلها صباح الخميس ٢٥ تشرين الاوّل عائدين الى حمص فبيروت شاكرين الربّ على ما اولانا في هذه الرحلة من النعم

مطبوعات شرقية جديدة

Genuinæ relationes inter Sedem Apostolicam et Assyriorum Orientlium seu Chaldæorum Ecclesiam
cura et studio Rmi Abbatis S. Giamil, Romæ 1902, p. XLVIII - 648

المكاتبات الرسميّة بين الكرسيّ الرسوليّ والطائفة الكلدانية

انّ اساس تاريخ الطوائف المسيحيّة في المشرق ولاسيّما الكاثوليكية ما دار من المراسلات الرسمية بين الاحبار الرومانيين ورؤساء هذه الملل المختلفة لولاها لما استطاع الكتبة ان يستوفوا اخبار هذه الكنائس الشرقية. وقد شعر بذلك حضرة الاب العلّامة الفاضل صموئيل جميل نائب غبطة بطريرك الكلدان لدى الكرسيّ الرسوليّ فراجع محفوظات الخزانة الواتيكانية وجمع من هذه الآثار نيفاً ومئة وستين كتابة منها مناشير وبراءات ورسائل وصور ايمان وغير ذلك ممّا يستحق ان يُحمل كاصدق المصادر لتعريف احوال الكلدان النساطرة والكاثوليك منذ القرن الثالث عشر الى ايّامنا. وقد نشرها كلّها بنصها الكلدانيّ ونقلها الى اللاتينيّة واضاف اليها تعليقات وافادات تاريخية وجغرافية تضاعف قيمتها. فنثني على واضع هذا الكتاب الخطير ونتمنّى ان يقتفي باثرهِ كتبة جميع الطوائف الشرقية ليزيلوا جانباً من الظلمات التي لا تزال تحجب تواريخ الامم النصرانيّة في الشرق

خزائن الكتب في دمشق وضواحيها

بقلم الكاتب البارع حبيب افندي زيّات

اطرأنا سابقًا في المشرق (٥: ٩٧) الجزئين الاوَّلين من هذا الكتاب النفيس وقد وقفنا اليوم على جزئَيهِ الاخيرين وبهما تتمَّتهُ. والحقُّ يقال انَّ هذا القسم التالي ليس بأقلّ جدوى ولا ادنى شأنًا من القسم السابق بل وجدنا فيهِ من نوادر المقتبسات وفرائد التعليقات ما زادنا اعتبارًا لمؤلفهِ وشكرًا على همَّتهِ. ومدار الجزء الثالث من الكتاب على قرية معلولا وتاريخها ولغتها السريانية وذكر اديارها وكنائسها وآثارها الخطية لاسيَّما السريانية المكتوبة بالخطّ الملكي لخدمة الاسرار المقدَّسة عند الروم الملكيين. امَّا الجزء الرابع فقد خصَّصهُ صاحبهُ اثابهُ الله بيبرود وكنائسها ومعابدها وكتبها لاسيَّما وصف مكتبة السيّد الجليل فقيد رعيَّتهِ المرحوم غريغوريوس عطا وقد كان جناب الكاتب يقدّر انهُ يجد فيها «من المصنَّفات والجاميع الخطّية في العربيَّة والسريانيَّة التي كانت ابرشيَّتهُ ملأى بامثالها حين تسقيفهِ عليها (ص ٧٨)» الّا انَّ غاية ما وقف عليهِ اربعة كتب عربيَّة. منها كتابان طقسيان من تعريب ملاتيوس مطران حلب وكتابان يتضمَّنان رسائل وشذرات تاريخية شتَّى. وقد اضاف حضرتهُ الى هذا الجزء ثلاثة جداول تتضمَّن عدَّة فوائد تتعلَّق بتاريخ الروم الملكيين الكاثوليكيين كتسميتهم بالملكية وسلسلة بطاركتهم واساقفتهم وفي كل هذه الفصول ابحاثٌ دقيقة وايضاحات تنطق بما لكاتبها من سعة الرواية والاستقصاء في البحث. وخلاصة القول انَّ هذا الكتاب تحفةٌ في بابهِ لولا انَّ صاحبهُ طمس شيئًا من محاسنهِ ببعض العبارات والانتقادات التي من شأنها ان توغر عليهِ الصدور ولو تحاماها لكان لكلامهِ وقعٌ اعظم في النفوس

التحفة الحميديَّة في اللغة العثمانيَّة

تأليف الاديب المتفنن مصباح افندي ابن سليم اللبابيدي

طبع في بيروت طبعة ثانية سنة ١٣٢٠ (ص ١٢٠)

انَّ اقبال الدارس على هذا الكتاب اضطرَّت صاحبهُ على ان يكرّر طبعهُ بعد

زمن قليل فاعاد فيهِ النظر وسعى باصلاحهِ وتنقيحهِ فجاء طبق ذوق الدارسين للغة العثمانية مع تعريف مصادرها الثلاثة التركية والعربية والفارسية وذكر مفرداتها وادواتها وتصاريفها الاسمية والفعلية. وفي آخر الكتاب تعريب الجزء الاوَّل من كتاب «تعليم قرآت» باللغتين التركية والعربية. فنحضّ محبّي اللغة العثمانية على ان يتَّخذوا هذا الكتاب كدستور للتعليم المدرسيّ فانَّ فيهِ غنيةً للطلَّاب وتذكرةً للمعلّمين

كتاب شمس المنّى الفريدة في المطبوعات الجديدة

نظم القوَّال الشهير خليل سمعان الفغالي الشحروري

طبع في المطبعة الشرقيَّة في الحدث (لبنان) سنة ١٩٠٢ (ص ١٤٩)

المنَّى احد فنون الشعر الجارية بين العامَّة ولهم في ذلك قوانين يجرون عليها يطول شرحها ولعلَّنا نكتب فيها يومًا فصلًا مطوَّلًا. وقد اشتهر في هذا الباب قومٌ من اللبنانيين كالادباء يوحنَّا صعب الشلوق وضاهر بولس وابو علي البكاسيني وميخائيل نادر والياس البدوي والياس الفرَّان فبرعوا ووضعوا ضروب القصيد والموشحات والقرَّادي وغير ذلك من الاقاويل التي لا يزال يحفظها الناس عنهم ويتفكَّهون بها. وممَّن امتاز في عهدنا في هذا الفنّ القوَّال المُجيد خليل سمعان فرح الفغالي جمع في كتاب اقوالهُ المستحسنة اهدانا منهُ نسخةً. وهاك مثالًا من اقوالهِ يشهد على فضلهِ واقتدارهِ وهو محاورة الكريم والبخيل اخترنا بعض ادوارها:

الكريم	معطي من المولى الجبَّارْ	من مال وارزاق وعمارْ
	بصرف وبفرّق صدقاتْ	وبيضمُّوا الليرات كتارْ
	بصرف وبفرّق صدقاتْ	ومُكفي عاغير استحقاقْ
	مهما تفقت من الليراتْ	بتعوض من خمسين طاقْ
	ومن اطباعي والعاداتْ	علمحتاجين اتصدقْ
	حيث الاجر من الحسناتْ	وعاقبة البخل المهوارْ
البخيل	عاقبة البخل الناموس	يقولوا جيدي ولا اشحدْ
	عزّ الاجساد والانفس	كل ما الانسان مانو زادْ
	بالنقديه رفع الروس	خفف مصروفك وجادْ
	ما احلا جمع الفلوس	وما اطيب عشب الاخضرْ

. . . .

ومنها: الكريم الفقرا قالوا غشّينا حيث العادة والاسباب

طرق الصدفه استهدينا لدار البخيل النصَّابْ
ولمَّا قبالو طلّينا لاقانا لقدَّام البابْ
وكانت. صدقاتو علينا لام الف وضربْ حجارْ

البخيل: من جودي يا ما سوا ويا ما من الفجل استقنيتْ
في كل مواليد حوًا اسخى من كفي ما لقيتْ
في بيتي برًا وجوًا يا ما تمشرت من الزيتْ
بيضم سراجي مضوا نهار وليل وليل ونهارْ

الكريم: سراجك عمرو خمسين جيل ناشف من وجهك عدوي
في بيتك ما في قنديل ولا مره شفتو مضوي
بتنطر حتى سراج الليل يمرّ عليك وتستضوي
اذا صار مقطوع الديل بتظلم عيونك والدار

. . . .

ختامها: الكريم: تمرّر بعد ملاعيك من جنَّة ربّك محرومْ
وكب جهنم نصيبك وجترير محمي على الزلومْ
عا بخلك وتنصيبك ان كان بعد بتبقا يومْ
لازم ما تموت وجيبك مثل النني والمازارْ

القتوى: تمّت ذي القصّة بحطولْ القاري والسامع يقولْ
عمرك يا كريم يطولْ ويا بخيل عمرك يقصرْ

شذرات

زيت جديد للاستصباح اخترع احد الكيمويين البارعين في همبرغ مائعًا جديدًا يمزج بقليل من الماء فيصلح للاستصباح وشدَّة ضوئهِ ضعف شدَّة البترول وهو ارخص منهُ. وقد انعقدت في لندن شركة لاستحضارهِ

ساعة عجيبة قد اصطنع ساعاتيٌّ من مونيخ عاصمة بافارية ساعة غريبة اشتغل فيها خمس سنوات وتقلَّد فيها ساعة ستراسبورغ الشهيرة وزاد عليها عدَّة تحسينات. وهذه الساعة يبلغ علوّها ١٤ قدمًا في عرض ١٢ تُدار مرَّة في كل قرن ولها إبَرٌ تدلُّ على القرن والسنين العاديَّة والكبيسة والشهور والاسابيع والأيَّام والساعات والدقائق والثواني. ويُسمع لدقَّاتها اصوات موسيقيَّة تختلف مع الزمان من اعياد وفصول السنة. وهذه الدقات تقوم بها اشخاص تمثِّل السيِّد المسيح ورسلهُ. وباسفل الآلة مقياس فلكيّ للدلالة على توافق الساعات بين اوربة وكلكوتا ونيويرك

المدارس الكبرى في الولايات المتّحدة — وقفنا على قائمة المدارس العليا الاميركيّة في الولايات المتّحدة للسنة ١٩٠١ فاذا عددها يبلغ ٦٢٩ مدرسة علميّة او كليّة تنفق عليها الحكومة نحو مليار و ٨٠٠ مليون فرنك. هذا فضلًا عن ٤٣ مدرسة فنيّة خاصة. امّا عدد طلبة هذه المدارس فكان ١٤٧,١٦٤ تلميذًا نال بينهم الشهادات المختلفة ١٠,٠٨٧ دارسًا منهم ٤٢٩٤ امرأة

مدينة جتّ — احدى مدن الفلسطينيين وقربها انتصر داود الفتى على جليات الجبّار. فهذه المدينة قد اكتشفت آثارها حديثًا شركة الحفر الانكليزيّة في فلسطين. وممّا وُجد فيها ادوات خزفيّة كادوات الحثيين والمصريين ومغاور كانت تحرق فيها جُثث الموتى وصخرٌ عظيم كانت تقدّم عليه المحرقات الى غير ذلك

اسئلة واجوبة

س سأل الخواجا انطون كنعان من نيكو بارس من اعمال مونتيڤيداو ما هو اصل العبيد ومتى غلب عليهم السواد وما سبب استعبادهم

اصل العبيد وسبب استعبادهم .

ج العبيد اي السودان والزنج كما نصّ عليه الكتاب المقدّس هم بنو كنعان بن حام الذي لعنهُ ابوهُ نوح مع ذرّيتهِ. امّا سواد اللون فقد غلب عليهم بتمادي الزمان في بلاد اشتدّ حرُّها فصبغت الشمس جلد اهلها. هـذا الى ما طرأ عليهم من الطوارئ المختلفة التي أثّرت في مزاجهم ودمهم واخلاقهم الى أن انحطّ النسل فصاروا طعمةً لمن ناواهم ولعلّ طباعهم الشرسة اثارت عليهم احقاد الشعوب المجاورة لهم فاسترقّوهم وبذلك تمّت نبوّة نوح في حام ابنه وفي نسلهِ من بعده

س وسأل جناب الاديب يوحنّا الخوري: ماذا يريد الكتبة بقولهم: « العادة خامس طبيعة فما هي يا تُرى الاربع الطبائع الأُخر

شرح قولهم العادة طبيعة خامسة

ج انّ للطبيعة هنا معنى خاصّ اصطلح عليهِ الاطبّاء الاقدمون وهم يريدون بها القوّة السارية في الاجسام تبلّغها الى كمالها. وهذه القوى الاربع هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. ولا غنى عنها لقوام الاجسام. وكذلك شبّهوا العادة بها لتغلّبها على الطباع كتغلّب القوى الاربع على الاجسام

ل. ش